أقحوان
رواية
منة الله أحمد غلو

الإهداء..

إلى من يشاطرونني حياتي بمنعطفاتها و تقلباتها.

إلى من ربط على كتفي و دفعني للأمام.

و لاحت لرؤيته بسمة تضئ وجهي.

هبة الله لي.

إلى عائلتي واصدقائي !.

https://www.facebook.com/drnovmenna

مقدمة

عزيزي القارئ من يحب المقدمات؟ الجمع متيم بالإثارة والتشويق, لكن المقدمات عادة تتميز بمعلومات بديهية حتى يستعد عقلك لفهم المجريات.

عقلك! هل فكرت للحظة فيما تقحمه فيه؟ مسكين حبيس الجمجمة يجعلك تسمع ما يطرب أذنيك من أصوات مميزة.. صوت الرياح وصوت الماء والموج والكثير.. موجات وألحان عدة تتواتر على سمعك.

لكنه لا يسمع!

يريك العالم وتستمتع بما يضمه بين طياته من جمال ألوان.

لكنه لا يري!

يكفيك ما تراه من جمال السماء.

السماء! عالم منعزل لا بداية فيه ولا نهاية ليتني اروي قصص الغيوم و النجوم لكني اعاصر البشر في حدودنا الضيقة_ الأرض _فالمكان في إحدى محافظات الصعيد وأما الزمان فقد تخطينا بضعة أعوام من العقد الثاني بعد الألفية الثانية.

سؤالي لك يا من سنحت لي بمشاركتك بعض الوقت من حياتك..

هل فكرت كيف ستكون الحياة لو ما يحتويه عقلك خرج للنور بل وتأثر العالم به رغما عنهم.؟!

قد تنتج أفكارا تنقذ العالم أو تودي به إلى طريق الهلاك!

لذا فالبدايات تخدعك في كثير من الأحيان. و تشابه الفعل لا يؤول إلى نفس النتيجة فدعوة موسى "عليه السلام" و السامري دليل.. لكن شتان بين من دعا إلى إله الحق ليفوز برضاه و من دعا إلى الضلالة ليُرضي هواه و طغيانه.

الفصل الأول

الأضواء تتسلل ببطء إلى عيني ازيح ستائرها بصعوبة والألم يخترق جسدي زلزال من الوهن يدب بداخلي وكلما اتسعت عيني كلما فتت الصداع رأسي.. الرؤية تتضح سماء صافية مزقت صفحتها بعض الغيوم. الشمس تبعث اشعتها بشدة لتجعل حرارة الطقس مناسبة إذا كنت تحب أن تُطهى حيا. وضجيج يعم المكان. الم فاتك بذراعي بينما حاولت النهوض متكئة على ذراعي لأفاجئ بأني لا أملك سوى واحد! اصابني الذعر.

مهلا اين الدماء ؟!

ذراعي مبتور من المرفق ويرقد بجانبي بينما يوجد صفر قطرة دم!! والأهم كيف حدث ذلك؟!

وماذا عن تلك الملابس الغريبة" سترة أقحوانيه زرقاء ورداء طويل ملتف حول عنقي كأني كنت أسيرة حرب ملطخة بالتراب والوحل!

لكن هذا كان اقل ما يقلقني لأنه سرعان ما تبين حقيقة الضجيج، هتاف مجموع من المشجعين من كانوا يصرخون بشدة: اقتلها قطعها إرباً لا تكتفى بذراعها نريد الاحتفال بتعليق رأسها.

يحيون رجل طويل القامة والشعر. عريض ما بين المنكبين يرتدي رداء طويلا أقحوانيا ازرقا ممسكا بيده سيف يتوهج في أشعة الشمس ويعلو رقم" ٩٩" غائر مطلي باللون الذهبي يتألق روقنه في ضوء الشمس.. تمحصته وبدا مشوشا بعقلي يخال لي معرفته استدار وتأكدت شكوكي أهذا حقا هو نمير!

انه أحد الشخصيات من روايات المبعثرة في عقلي ومكتبي لكنه لم يحدث أي من ذلك في الرواية والاهم انِّي اذكر دوري جيدا لم اتخطى حدود كوني من تخيلته وحسب! اخشى اني اعرف طريقة تعذيبه لضحاياه بثلاث مراحل: يبدأ ببتر الاطراف السفلية واحدا تلو الاخر حتى تشعر بالعجز تدريجيا فلا تستطيع ان تهرب ولكن قبلها يبتر يمناك فيتدفق بداخلك شريان اليأس فتكن كالمعلق بين الحياة والموت لا يرحمك سوى اجلك لكن حينما لا يسبق الموت عذابه ستتمنى ان تقتل نفسك قبل ان يتجه للمرحلة الثانية وهي اقتلاع عينك فتعش لمدة ليست بالقصيرة في ظلام دامس بينما يكمل مرحه برؤيتك تتلوى امامه الما و تضرب بيدك يمينا ويسارا حتى يصل لمرحلته الاخيرة وهي كما يسميها "اللآمنة "اي لا تنام لمدة١٠٠ ساعة لتفقد صوابك من الم رأسك والصراخ من حولك فيأتي بسيفه المميز و ينحر

عنقك لترقد اخيرا في سلام بعيدا عنه. بدأ بالتقدم تجاهي وهو يجر سيفه ويحدث خطا في الرمال تحته ابتسم ثغره ابتسامة جانبية ثم رفع سيفه ليزداد توهجه في الشمس متفوها:

_ كان يتوجب عليكِ المواجهة لكنك آثرت الهرب . فلتتذوقي طعم سيفي ايتها الغريبة!

الفصل الثاني

تحاول أشعة الشمس الهروب من تلك الغيوم المتكتلة في السماء. نجت مجموعة منهم لتتألق انعكاسا على قطرات الندى المتناثرة على الأشجار مازال هطول الأمطار أمس تاركا بصمته عليهم.

منزل صغير من ثلاث طوابق متزين بالبساطة ولمسة عصرية قام رب الأسرة في الأيام الماضية بتجديده. نوافذه الصغيرة تراقصت عليها حبات المطر وتنعكس عليها أشعة الشمس فرحة عدا نافذة. بدت أكثر اختلافا و أقلهم بهجة. أشعة الشمس تحذر الاقتراب لأن مصيرها الامتصاص و الهلاك . سوداء قاتمة صدر من داخلها صوت ام توقظ ابنتها بنفاذ صبر:

_هتتأخري على الصيدلية اديلي ساعتين بصحيكي يلا كل ده نوم الساعة بقيت ١٠.

بوجه عابس به آثار النوم ومسحة الحيوية والشباب بدت واضحة على ملامحها لتوحي بأنها في مطلع العشرينيات زفرت بحنق شديد:

صحيت خلاص ..

امسكت هاتفي وتفحصت الساعة انها التاسعة ليست المرة الأولى التي تستعمل امي توقيت مكة لإعلامي بالساعة.

هللت اهلا نظرتك لنفسك متغيرة قد يزاحم مشاعرك إحساس أنك شخص مختلف ومميز وبين ليلة وضحاها يخال لك أنك كصفر يلقى حتفه ناحية اليسار. لا يوجد أفضل مني ليصفني لذا يلقبونني ب "زمهرير" ما زلت في اوائل العشرينات شارفت دراستي بكلية الصيدلة على الانتهاء لست بالطويلة نحيفة الهيئة وشاحبة الوجه جراء اصابتي بأمراض موسمية إذا احتضنت الشتاء الحياة. ارتوي بحبي للقراءة وكتابة بعض المقالات والروايات المتناثرة مبتورة النهاية. امتاز بحس فكاهي كما يدعي اصدقائي لكن داخلي يوقن أن ذلك ستار لإخفاء ما أستطيع اخفاؤه من عثراتي وأحزاني. لا يحب احد نافذة غرفتي السوداء لكنني اراها المنفذ الوحيد الذي يتيح لي النظر من خلاله على نظرتي الكامنة في نفسي للحياة و هذا العالم . نظرة كاتمة و مشوشة. تسير ايامي بخطى مستقيمة لا احداث مثيرة أو جديدة طغى الروتين عليها فجعلها باردة كاسمي. ليتني أجد ما يعيد نبض حياتي من جديد.

قلبت صفحات مذكراتي أو ملتقى ما ينزفه عقلي في نهاية اليوم "الاكتئاب كما يسمونه ان تكون حيّاً بلا حياة، وجسدا بلا روح ومشاعرك تسير بوتيرة واحدة". تمعنت تلك العبارة، كتبتها ليلة أمس قبل نومي بعدما انهيت قراءة أحد المقالات. لكني أُسمي حالتي الانخراط بالواقع بل الأحرى الاصطدام بالواقع محاولة التخلص من طوق انضمامك للقطيع الذي يضيق انفاسك ويحاول القضاء على كل ما تملك من أحلام وتميز لتنتهي كترس صغير في آلة تخدم الرأسمالية لتنتج لها المزيد من الأموال وحسب.

أغلقت دفتر كتاباتي المبعثرة. ثم تلوت اذكاري و اديت ركعتي الضحى لأستمد العون من رب العالمين و يبارك لي في يومي. متلونة بوجهي المعتاد الباسم. فالحمد لله الذي جعل التبسم صدقة والهدف من حياتنا عبادته. قدمت تقريري اليومي لأمي وتغافلت عن تكرار نصائحها المعتادة الاهتمام بصحتي ففي تلك الفترة من العام من انتهاء الخريف و تربع الشتاء بهيبته على عرش الدنيا أصبح اكثر من ينال حب الأمراض قبلت رأسها متفوهة:

_هروح الصيدلية الساعة ٢ ودلوقتي الساعة ٩ كنت نمت شوية .

ابتسم ثغرها بينما تنتهي من اعداد الفطور:

_في البكور بركة خلصي اللي وراكي الصبح ومتنسيش تاخدي الأدوية و تساعدي اخواتك شوية بدل ما انت ملكيش غير الكتب اللي ضيعت عينك دية وتفطري. شكلك عاوزة تدوخي في الشارع.

ثم أكملت بسخرية : في واحدة في سنك تمشي من غير ما تفطر يا دكتورة .

تغافلت عن استهزاءها المتكرر لأسلوب حياتي هذه الفترة ثم تفوهت:

_ هفطر يا ماما انا أقدر امشي من غير فطار. وإيه علاقة الدكترة بالموضوع! عموما انا نسيت اقولك إني ممكن أتأخر انهاردة عشان اول يوم مع الدكتورة الجديدة . والدكتورة اللي بدربني قالت لي انزل بدري لأني قريبة من سنها فأخليها تاخد على المكان .

خرجت مسرعة لتنتهي من ارتداء حجابها فهي تستعد للخروج متفوهة :

_المهم تردي عليَّ لما ارن عليكِ واهدي كده وانت بتكلمي الناس. هنزل اشتري شوية حاجات وانتِ متتأخريش على الصيدلية و متنسيش تشريي حاجة سخنة. و تقلي لبسك.

قبلت يدها و بداخلي بعض الضجر من تكرار نصائحها لكن ربما سأقدر تلك المشاعر في يوم من الايام عندم تدور الدائرة و ينتقم العالم منى بوجود نسخة شبيهة بي تطوف معي بين أركان المنزل ابتسمت كالمعتاد قائلة:

مش هتأخر متخافيش عليَّ. بس متنسيش الليمون تمام.

أغلقت باب منزلنا تمازحني :

_تمام يا حبيبتي مش هنسى الحاجة الوحيدة اللي بتشربيها ده احسن من الأدوية ديه.

تفوهت بلهجة الفصحى بينما أنهي اخر لقيمات واتجه لغرفتي :

_ امي والقلق وجهان لعملة واحدة

امسكت دفتري لأدون آخر خواطري قبل استيقاظ إخوتي من يسخرون من تلك الكلمات المتراصة بين السطور عاجزة عن الدفاع عن نفسها في وجه سلطتهم .

" اليوم وجه جديد وترس أخر أنضم الي الألة اللعينة فتاة حديثة التخرج مضى علي تخرجها عام. مليئة بالحيوية و تطبيق القانون لم يسبق لها التدرب في فترة دراستها كانت تأمل أن تسلك المجال الاكاديمي و تحقق حلمها بقبول عدد كبير من الطلاب لكونهم الدفعة الأولى التي تخرجها الجامعة. أتت تسكن في حينا مع والدتها واخيها الأكبر . ستصاب بنوبة هلع حينما ترى تطبيق مرضانا لدساتير الادوية بحذافيرها. ولكن آمل أن تكون لها سعة صدر للمدير المالي للصيدلية السيد "راشد " .

****

ارتديت سترتي المفضلة و وضعت لمساتي الأخيرة على حجابي اسير بصعوبة في ذلك الحذاء الجديد لما العذاب؟! ما المفضل في أحذية تعلم الجميع بمروري جراء صوتها وتؤلم ظهري و ركبتي من تركيبها غير المتناسق! لكنها أوامر والدتي و نتيجة قرار متسرع في لحظة اندهاش بجماله و نجاح خدعة المطورين بإجبار تفكيري على زيادة أناقتي بارتداء مثل تلك الحذية الشتوية واستسلامي لرغباتي المدفونة بتجربة الأشياء الجديدة و توديع حذائي المعتاد لمدة صغيرة. لاحت أمام شاخصاي.. صيدلية متوسطة المساحة لديها شهرة واسعة في ضواحي حينا لكن ما زاد من شهرتها هذه الأوقات أنها تقع

على مسافة ليس بالبعيدة على حدود مجرى الماء الفاصل بيننا نحن و الحي المجاور المنتشر به الفناء اصبح خاليا على عروشه وباتت تلك الصيدلة اول النقاط المعمورة بعده .

جرت أمور مريبة في ذلك الحي بعد اكتشاف احدى المقابر الأثرية . احدث الأمر ضجة كبيرة وتوافد علماء الآثار من شتى بقاع الأرض لفحص تلك المنطقة. إنجاز عظيم يضاف إلى اسم وطني. سار الأمر بوتيرته المعتادة وأحدث علماؤنا المصريين ضجة في العالم أجمع بعدما استطاعوا اكتشاف أسرار غريبة حول تلك الكنوز مرورا بنقل تلك المقبرة كاملة دون أي خسائر بالرغم من موقعها الصخري و تعرضهم لهزات أرضية غريبة أثناء الحفر. كانت تلك الهزات بداية نهاية هذه القرية حيث جرت عدت انتحارات و قتل بين الطاقم العلمي الأجنبي و هواجس بين الطاقم المصري، وشاع فساد ودمار و طقوس غريبة كإشعال النيران والالتفاف حولها في نظم دائرية بطريقة لا واعية و تكرار غير مبرر لتلك الأفعال بين ساكني أهل الحي. قتل وإحراق للبيوت عسى أن تنتهى لعنة الفراعنة كما يسمونها انتشر كالنار في الهشيم. لكن الطاقم يؤكد أنه لا وجود لما يسمى لعنة وسيكتشفون السبب فقاموا بإخلاء الحي أو بالأحرى ما بقى منه لحين اكتشاف السبب ومنذ ما يقارب الستة أشهر صار ذلك حاله. ربما كنت أكثر المستفيدين به . كتبت عدة قصص مخيفة مستوحاة منه. زادت من غرابتي بين العائلة.

القيت السلام وبداخلي يتمنى نهاية هذا اليوم بشيء مميز ينعش خيالي لإنهاء فترة الركود الحالية له.

_السلام عليكم ازي حضرتك.

استدار لي بجسده و قام تحسين وضعية عدساته فكان يطالع جريدة اليوم من القلائل في قريتي بل أظن العالم الذي استمر بالقراءة الورقية للجريدة بينما احتلتنا تلك الأجهزة اللوحية المحمولة:

_ عليكم السلام . الدكتورة قالت لك انها هتتأخر انهاردة وفي حد تاني جاي معاكي. اتفضلي ارتاحي يا دكتورة.

جلست بينما احاول تذكر اسم الفتاة لست من المميزين بذاكرة حفظ الاسماء:

اه قالت لي اسمها ....شمس.

ما لبث حتى انفجر ضاحكا:

_ عارفة ديه نكت حلوة... شمس و زمهرير في نفس المكان على كده تيجي انتِ في الصيف وهي في الشتاء..

ابتسمت بلا مبالاة فلم تكن تلك مرته الأولى التي يلقي كلماته اللاذعة عن اسمي. لاحظ انزعاجي فعلل مسرعا بصوت مهتز:

_ انا بضحك معاكي يا دكتورة ده انت اصغر من بنتي . يا رب حفيدتي تطلع دكتورة شاطرة زيك.

آمنت على دعائه باقتضاب وحدة فانطلق يتجول بعيدا لعدة دقائق لتدخين سيجارته.

السيد راشد اقترب من إتمام عقده الخامس طويل القامة بدين الجسد ممتلئ الوجه يرتدي عوينات دائرية تشي بضعف نظره الحاد و ابتسامة صفراء جراء تدخينه الشرس. اسمه مناف لشخصه لا يعرف عن الرشد سوى انه بحرف "الشين ". يدير الصيدلية ماليا وليلا يبقى من تلك الدروع التي تقف امام هؤلاء المغيبين. يسعدني وصفهم "بسارقي راحة المرضى "بإدمانهم لتلك الادوية مما يؤدي لتوفيرها بحذر في الصيدليات خوفا من الاستخدام الملوث لماهيته– العلاج–. لكن لا تقف حدوده عند الإدارة المالية بل هو طبيب متخصص لكل الحالات طبيب شامل كما يدعي و مصدر ثقة لكل مرضانا ولما لا؟!هو يمتلك درجة دكتوراه في بيع الوهم والحديث اللبق لمعظم من وطأة قدمه الصيدلية. ينسج حديثا معسولا ليقنع عملائنا. و مع علاقته الممتدة في كل دهاليز القرية بات الأهم بها .

حدقت بهاتفي لأكمل قراءة أحد الكتب التي داعبت عقلي وتركت بصمتها عليه مع لكم تلك الشاشات ذي الضوء الأزرق المؤلم عيني زاد ارهاقها وبدت أكثر احمرارا.

وطأة قدم الصيدلية اول قصص اليوم اقصد العملاء. لكنها ليست قصة عابرة وحسب بل من القصص الملامسة لفؤادي. يعج بحياة مليئة بالابتلاءات يتوجها رضاه و ابتسامته التي لا تكاد تغادر ثغره وتزين وجه المتعب من الحياة بشدة. شيخ في الستين من عمره يتكئ على عصاه ولكن تشعر كأن الأرض هي من تستند على صبره وايمانه. يأت مبكرا يفرغ ما في صدره.

في بداية الامر حاولت إيقاف تدفق حديثه لكن وجدته منفذا له ليخفف من قبضة الحياة عليه. مهمتي تخفيف الآلام فتلك طريقة لعلها تجدي نفعا. وبما إني امتلك الوقت فلما لا. وربما كانت أحاديثه سببا في اكتشاف ورم والدته العجوز استمع الى نصيحتي حين عرضت عليه التوجه لطبيب أورام . كانت استجابته اول حدث مميز في حياتي المهنية.

تخللت البسمة وجهي حينما طرقت تحيته آذنان متفوهة:

_ عليكم السلام يا حاج . ازي حضرتك أتمنى تبقى جاي تبشرني بتعافي بنتك وولادتها بالسلامة.

أسند عصاه و جلس على الكرسي متنهدا:

_ بخير الحمد لله.

لمحت طيف حزن في صوته و حديثه فأردت تغير مسار الحوار بسؤاله عن أحوال والدته لكنه استرسل الحديث مكملا :

_يا دكتورة الدنيا مبترحمش و الواحد عامل زي مكنة الفلوس و ياريتها مكفية , عندك مصارف علاج امي الكيماوي غالى جدا و الله ما اشتكيت المهم ربنا يبارك في صحتها و افرح كده بخروجها سليمة علي رجليها تانى بإذن الشافي الرحيم . ولما جيت اتنفس شوية بالواد حفيدي ربنا حب يزود فرحتي بيه اكتر ويبقى سبب في دخول بنتي الجنة و اتكتبلها في الجنة إن شاء الله و اخترلها الحنان في الدنيا. البت بخير الحمد لله والله لافرح الحي كله لو ربنا كتبلها الخروج من الحضانة.

لاحت علامة حزن على وجهي فتفوهت:

_ربنا يرحمه ويصبركم يا حاج اللهم امين. انت صابر و ده اكبر دليل على تثبيت ربنا ليك مش ديه كلمتك ولا ايه؟

_انا مش معترض يا بنتي انا راضي جدا تخيلي لما يبقى ليكي حاجة ف الجنة مستنياكي حاجة تسر القلب يا بنتي. لكن الحزن معجون مع طينتنا فربنا يفرج حزننا. بعدين البت ديه اجمل نعمة في الدنيا. يا رب تطلع دكتورة طيبة زيك كده انتِ و اللي زيك أي حد بيخفف وجع إللي حواليه.

زفرت بابتسامة على شفتاي متفوهة:

ربنا يبارك لك ويزيد ايمانك يا حج وإن شاء الله تطلع بخير وتجيبها على هنا على طول. انا عاوزة اشوف الصغيرة .

_طبعا يا دكتورة. المهم انا طولت عليكي في الكلام انا عاوز الروشتة ديه و علاج القلب بتاعي .

ناولته ادويته المعتادة فأتبعها بدعواته وانطلق يهرول في دهاليز الحياة. ما يثير حزني نظراته عندما يزداد سعر ادويته وبعدما يعترض يتابع كلامه مستغفرا حامدا

_ علي الأقل بلاقيه يا بنتي في غيري مش لاقي لا فلوس ولا علاج وربنا يشيل غضبه وسخطه من علينا.

كانت دعوات "الحاج " مازال يتردد صداها في أذناي وبدأت السعادة تسلك طريقها تجاه وجهي حتي اصطدمت بدخول السيد راشد يقلب كلتا يديه بتعجب ممزوج ببعض الغضب ثم بدأ يتفوه رافعا حاجبيه:

_يا دي النيلة القرية اللي جنبنا الورد الازرق ده ملاها من غير ما حد يزرعه. اكيد جن! القرية ديه ملبوسة.

تفوهت بينما اكتب قائمة الأدوية غير المتواجدة بالصيدلية :

_ أقحوان... اسمها أقحوان.

تفوه بلهجة ساخرة :

_اكح وان ايه بس يا دكتورة الف سلامة عليكي ديه وردة زرقة. ثم اخفض من حدة صوته قائلا :

بيطلعها العفاريت الزرق تعرف لو سودة أو حمرة يبقوا شياطين.

وقفت كلماته تنتظر قطار المرور لاستعابِ لكن لم ينالها الحظ. يشعل السيد راشد اعجابي كل مرة يتفوه بها و يروق لي قوة سمعه! ستظل اغرب الكلمات التي طرقت سمعي اليوم لكن اظن انه لن يمر ذلك اليوم بسلام. اكتفيت بأسر علامات الامتعاض لأمنعها عنوة من الظهور من ثقته التامة في معلوماته و نظراته المليئة بالسخرية لي ثم تفوهت:

_ آه انت صح يا استاذ راشد... ديه عفاريت

قاطعت حديثنا فتاة بعينين بندقيتين احجبتها عوينات دائرية وملامح حيوية ارتديت حمرة الشباب و الارتباك وحجاب زمردي يزين وجهها تفوهت ببطء:

السلام عليكم ..انا دكتورة "شمس "حضرتك أستاذ راشد؟.

_عليكم السلام اهلا يا دكتورة انا راشد اتمني متبقيش توهتي لحد ما وصلتي ثم أشار نحوي" الدكتورة زمهرير هتبقى زميلتك هنا"

تبادلنا الابتسامات وافسحت المجال لمقدمة السيد راشد المعتادة . بارع بالحديث يسترسل دون أن تشعر. ثم تابع حديثه عن خبرته في مجال الادوية لحلمه أن يلتحق بالمجال الطبي. يحفظ جميع الادوية التي نزلت بالأسواق منذ عشرين عاما وإلى الآن. ولا شك في خبرته بعلوم الطب جميعها ونظرته لتلك الكليات الطبية التي يراها ساحة معركة تستنزف من الطلاب أعمارهم وقوتهم في حين انه حفظ جمع الادوية باستخدامها في شهر واحد! لكنها تخدعهم بتلك الشهادة التي تثبت كفاءتهم لممارسة المهنة. لم تطأ قدمه أحد الأطباء إلا في الحالات الحرجة وحسب ثم أضاف مكملا ان قدراته وصلة لطب الاسنان مختتما حديثه:

_ لو احتجتي أي حاجة لحد ما تاخدي على المكان انا موجود.

تنهد مستعد للرحيل ثم قال:

طيب يا دكاترة اسيبكم مع بعض والدكتورة زمهرير هتعرفك كل حاجة ديه معانا من سنتين.

لم تتفوه بحرف و اكتفيت بهز رأسها. لم تجاريه في حديثه رغم محاولاته. تلك البندقتين غرقا في بحر الدهشة والحيرة لكنها تفوهت بعد ذهابه:

_معلش على ردت فعلي. المنطقة هنا الكلام عنها كتير وانا لسة جاية من السفر فمش نايمة. وخايفة تبقى الأسطورة ديه صح.

صافحتها لأهدئ من روعها فبالنسبة لي لقد اعتدت الأمر ربما سيتأخر زواجي كما تعتقد والدتي بفضل تلك القرية و زيارتي المتكررة لحدودها تفوهت محاولة إنهاء الأمر :

_ عادي هتولفي المنطقة هنا أمان و ربنا يرجع الحياة لطبيعتها. نزلتي تدريب قبل كده؟

_ لا انا كنت بشتغل في الترجمة جنب الدراسة. فمركزتش مع التدريب في فترة دراستي.

حاولت تخفيف توترها الملحوظ مازحة:

_ على كده افتحي قاموسك واكتبي معايا لغة جديدة. و الدكتورة قالت لي انك هتتعيني مبروك يا دوك .

فكرت يدها ثم أضافت هتعين إن شاء الله في الجامعة الخاصة. عارفة أول دفعة بيعينوا كل الامتيازات.

_ هتتعين في قسم ايه ؟

_صيدلانيات. بس تايهة شوية. مكنتش بفضل القسم ده لكن الخيرة في ما اختاره الله.

_ يمكن ربنا اختارك لسبب هتعرفي قدام ياريتك كنتِ عندنا في دكتور في القسم ده بيحب يساعد الطلاب ربنا يجعل اللي بيعمله في ميزان حسناته اللهم امين.

بدأ جليد توترها بالذوبان و بدأت تعود لرونق الحياة بعدما تناولت جرعة الكفايين الذي أعدها السيد راشد قبل ذهابه مزهل ذلك المشروب كالسحر يأخذك لأقصى درجات الآفاق والسعادة فتفوهت بحماس اكبر من ذي قبل:

_ انتِ بقي في سنة كام ؟

اخر سنة خلاص و اخد افراج.

_بنتزلي تدريب من مدة ؟

_يعني ديه تالت سنة انت منزلتيش ليه من الاول ؟

_كنت فاكرة اني ههتم بمجالات تانية و التدريبات كانت قليل جدا في بلدي و انا مدورتش عليها هنا علشان الدراسة . فاهتميت بمجالات تانية زي المصانع بس الأمور لسة متظبتتش. فغيابي عن دوري هنا وانا متفرغة بيدي فرصة للي زي استاذ راشد أنه يبقى دكتور شامل. إن شاء الله فرصتي للتعلم هنا اكبر.

_على خير المهم تعالي نبدأ قبل ما يجي أستاذ راشد و زحمة الناس ..الصيدلية هنا كبيرة ومعروفة.

بدأنا العمل لكنها أضافت ساخرة :

_شكل أستاذ راشد مش بيحب الكلام عن نفسه خالص و هادي مش كده .

تفوهت بسخرية:

قصدك الفيلسوف راشد هو عامة كويس و محترم عاوز سعة صدر في التعامل .

ثم انطلقنا في رحلة التعرف علي الصيدلية. اخبرتها ببعض العملاء المستمر توافدهم علينا . نالت اعجابي بحديثها عن دور الصيدلي في إيقاف ما يسمى "الدخلاء " اي ما يتدخلون في حياة المرضى وعلاجهم. بات الأمر أكثر شيوعا بعد سهولة الحصول على المعلومات و عدم التميز بين الصالح و الطالح. فإن اكتفى السيد راشد بعمله والتزم حدوده بين الإدارة المالية ومتابعة الشركات وما الى ذلك و دافع الصيدلي عن ثغره بقوة و تحمل أمانته لما واجهنا تلك المشاكل .

****

هبط الليل بسواده كعقاب، و السماء تقطعت صفحتها بالغيوم لتعطي الراية للقليل من ضوء القمر علي استحياء ليلمع على صفحة الماء المتزايد في الشوارع جراء قطرات المطر المتسابقة من سحب السماء،و الاشجار تقوست من قوة الريح المهداج و الكلاب والقطط الضالة تختبئ من البرودة. بدأت القطرات بالانحسار و الرياح بإنهاء معزوفتها و انتهت حفلة الطبيعة الصاخبة، وعاد الهدوء ليسكن الطريق، ولكن ليته يقاسم الطبيعة شعورها و يعود لهدوئه. من نافذة غرفته يظهر انعكاسه على زجاجها وقد خيم الليل علي كل ركن في الغرفة: أثاثها و طلائها لم تنجو ملابسه وعينه من ظلامه الحالك فأظهرهما شديدا السواد. فالارهاق شبح اشحب من حيوية وجه، واحتل جسده مفتول العضلات فجلس علي كرسيه يتأمل حبات المطر علي زجاج نافذته.

شاب في مطلع الثلاثينيات من عمره لكن هيئته توحي بأواخرها جبهته الشامخة توحي بالعزة والكبرياء قد تربى عليها منذ صغره أصرت والدته على زرع الشجاعة وتحمل المسؤولية بجذوره منذ نعومة أظافره. يغمض عينيه مفكرا و يفرك جبينه بين الحين والآخر. عيونه تعبق بالضجة الممزوجة بالخوف. أخرجه من حالته صوت شاب يقاربه السن كاد ينهي العشرينيات بملامح أقل حدة و جسد أقل طولا بشعر قصير وأنف مستقيم يرتدي زيا أنيقا و معطف رمادي فبعد تحية عسكرية تفوه:

_سيد ليل حانت اللحظة المرتقبة نحن نستعد للنفذ ضربة البداية في خطتنا عسانا نصيب .

خرجت الأحرف بصوت رخيم:

هل تأكدت من الحسابات بنفسك؟

أجاب بنبرة واثق:

لا تقلل لن يتعرض أحد لأي الم او خدش فقط كن علي يقين بنجاحنا.

_هل زادت نسبة نجاحنا؟؛

هز رأسه نافيا بيأس و اقترب من ليل مربطا على كتفه بصوت اقل جدية و خفوت :

_لا تقلق يا صديقي. هيا الجميع ينتظر خروجك .

تفوه بضيق وامتعاض: و هامان ؟

امتعض وجه نديم مبادلا له الشعور:

_انتهى امره في تلك المهمة منذ توفير طابعة الأفكار. ذلك الشيطان يحاول التجسس علينا بكل الطرق.

سار ليل ببطء تجاه الطاولة ليحضر نظارته متفوها:

_نتحالف مع ذلك الشيطان عسانا ندفع تلك الغمة عنا.

رق قلب نديم لصديقه رآه مرهقا وعابسا . ينظر بعيون فارغة و قلب يدوي به الصراع ليهلكه في نهاية المطاف قتيلا فخرجت كلماته بحذر حينما تفوه:

تلك السيارة لم تتغير.

استدار ليل بنصف جسده متفوها بقوة:

لما؟! الم نجرى الاختبار على سيارة الأخرى و نجح الامر؟!

_أجل لكن دقة السيارة الأولى اكبر ونخشى فقدانك لذا ستكمل تلك المهمة بها. لكن لا تقلق سنتابعك لحظة بلحظة. و يمكننا تأخير المهمة حتى نجد سيارة افضل. السيارات الاخرى تتعطل دون أسباب منطقية.

اوم له ليل برأسه ممسكا لنظارته و مخرجا زفيرا قويا احدث هالة بيضاء من برودة الجو:

إما نصر او هزيمة تلقي بنا جميعا نحو الهلاك. لننفذ المهمة بهذه السيارة لا وقت لنضيعه.

اكتفى نديم بتنفيذ الأوامر دون نقاش فهو يعلم حالة صاحبه يريد انهاء مهمته بأسرع وقت ممكن فخرج دون إصدار صوت او نبرة اعتراض.

سار بثبات يزلزل الأرض تحت نعاله. في زقاق مظلم بارد بقوة رغم قوة الرياح المتمردة فتضرب خصلات شعره. ولولا تلك النظارة لأصبحت الرؤية ضبابية. أضواء القمر متحدة مع بعض الاشعة الخافتة الهاربة من ظلام الزقاق تتكفل بإضاءة الطريق. هدئ من سرعته حينما وصل لنهاية الطريق ملقيا التحية على ثلاث رجال يزي رسمي اختلس لون الضباب ونظارات تلتف حول عيونهم. تعكر صفو وجهه حينما اخرجوا نظارة تشبه خاصتهم. ارتداها مكرها و تأكد من أحكام قفازين سميكين حول معصمه، ثم ضرب الأرض بقدمه فظهر نفقا بسلم كهربائي. فوضعوا أرجلهم بداخلهم و ما لبث حتى ابتلاعهم واختفى كأنه لم يوجد.

.....

الفصل الثالث

"في الصيدلية "

أقدام تليها أقدام وقصص تليها عبر و بين متذمر من سعر الدواء ساخط علي الحياة يدعو بموته الذي يتعجل عند نقص أحد الأدوية. بالتحديد مرضى الأمراض المزمنة، وبين شاكر وجود بديل لها ترددت دعوة" اللهم ارفع عنا البلاء " لم تكن تلك الدعوة الوحيد بل شاركتها دعواتهم بالتستر والصحة للدكتورة كالسحر يزيح عناء اليوم بكلمات بسيطة "ربنا يبارك في عمرك يا دكتورة العلاج أو الدواء جاب نتيجة " انا ارتحت على الأدوية اللي ادتهالي "

و لكن من شر البلية ما يضحك حينما ينفجر أحدهم عند اختفاء مراده أو غلائه متفوها " حسبي الله ونعم الوكيل فيكم " ويخرج يزلزل الأرض بقدمه كأننا من نسعر تلك السموم. أو حائرا يطالعنا باستهزاء كيف ستعرف تلك الأدوية الصماء فارغة الروح بأنه تناول الطعام أم لا أو بأنه تناولها بالليل أو النهار؟! تمكن هنا صعوبة الأمر و يتوجب عليك معاملة كل فرد بعقله المختلف بتفهم و إدراك أن هناك أخطاء لا تتهاون معها تلك السموم و قد تؤدي لضرره او وفاته .

تدور عيوني بين الرفوف إرث حضاري تكمن به عناية الله و توفيقه. السر الإلاهي الكامن بها يفرض على عقلي الوقوف و التفكر كلما درست أو تعلمت جزء جديدا يخصها. كيف لمجموعة من الدقائق التي لا تُرى بالعين المجردة أن تكون ذات تأثير على دقائق ذات مكانة في عالمها الخلوية. يسير نظامنا الحوية و الخلوية بنظام و دقة يعجز أذكى الكائنات من بشر و آلات على ضبط إيقاعها كما سيّرها الله. من المعجزات الملموسة في عصري كما ادعي، ليس لكفاءتها على خداع الجسم و عودته لمستواه الطبيعي بل لمدى حساسية أجسادنا لمثلها. و كيف يمكن لمركبات لا تقوى على شيء أن تزيد من كفاءة دواء او تقتلها. أو كيف تؤدي مجموعة صماء من الاعضاء دورها مفطورة بالتحكم في يومك بل بالأحرى حياتك. و تتعقد افكاري و تشتعل دهشتي أن تلك الزجاجات قادرة على شفائك و زيادة عجزك و وضعك بين مطاحن الادمان تهشمك فتصبح فتات هزيل تدفعه رياح حياته إلى سحيق عميق. لطالما لاح بخاطري فكرة مجنونة ماذا لو عادت تلك الأدوية المجدولة إلى السوق مجددا ماذا لو اختفت فكرة أخذ تلك الجرعات المخدرة و تمتع كل المرضى بحقهم في دوائهم . لكني ارتطم بالواقع لأجد أن هؤلاء

الشياطين يسلبون حق أضعف من في هذا العالم –المرضى–بجرمهم. يستمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام... ليتني اغير العالم!

وسط الزحام. نحاور جميع الطبقات و جميع العقول المثقفة و الواعية و العقول الطيبة المنهمكة في دروب الحياة طرق باب صيدليتنا رجل في الخمسين يرتدي زيا فاخرا جلباب وتعلوه عباءة يشتهر بها القليل في حينا يبدو أنه من ذلك الحي المجاور يحمل بين طياته سلاحا يسير بخيلاء وينظر للجميع نظرات شك و غرور. تقدم مظهرا سلاحه على استحياء وأخرج من جيبه روشتة لنقوم بصرفها . لم اعيره انتباهي في البداية ولكن سلاحه دب شعورا ولو قليلا بالرهبة ومع تعلق عيون شمس على سلاحه زادته غرورا وزادت سلاحه بروزا. بدأت أخبره بطريقة اخذها مع التعليمات المتكررة:

_ ثلاث مرات بعد الاكل ..مرة يوميا ..اختبار حساسية..بياخد أي أدوية. ممنوع يشرب لبن بعده وده يتحط في الثلاجة و لما تبقى بره يتحط في كيس اسود ...الف سلامة حاجة تانية ؟

وهنا خرج عن صمته وتكلم من اسفل نظارته بصوت أجش قائلا بلهجته :

_ إنت عارفة يا ضكتورة انا ممكن مسمعش كلامك ورارمي في اقرب بحر لكن لوفهمتيني كل حاجه بالراحة هسمعلك و اجيبلك اللي انت عاوزه.

قاطعتنا شمس مازحة :

_هاتلنا حتة اثار زي اللي علي مدليتك ديه ...

التفت اليها واردف :

_والله العظيم يا ضكتورة عندنا في البلد تحت بيتي ٧٠*٧٠ مقبرة وترفعنا رفعة للسما لكن دلوقتي السوق نايم بسبب اللعنة ديه واخد بالك انا و وزارة السياحة موقفين غفر عليها واللي يتعدى حدوده ويحفر بس طخة واحدة تجيب أجله اومال ديه كمان كام سنة تجيب اضعاف سعرها ولو السوق اتفك ليكي عندي هدية مليحة تسر قلبك ....ياكش تنزاح اللعنة ديه الكل خايف يقرب من البلد ..بعدين انتم مقلتوش احط ده في كيس اسود ليه انا لازم افهم لولاش انفذ ..

تفوهت بهدوء لعله يرضخ :

_علشان هيتكسر

أجابه بلامبالاة بعدما رمقني ساخرا:

_بيتكسر وانا اعمله ايه!

حاولت إيضاح الفكرة أعلم هذا النوع جيدا يهملون كل الإهمال في تناول ادويتهم ما لم يحذرهم احد بخطورة الامر:

لما يتكسر يا ميشتغلش ويصحي ابنك يا بعد الشر يجيب له تسمم.

اتسعت عيونه منتفضا :

_ لا تسمم لا كله إلا سيدي عبد العزيز لا ده اخو الكبير راح في الحلقة مع غيره.

_ربنا يرحمه ويبارك لك في ابنك اديك فهمت اتفضل .

التقط الأدوية مغادرا يتفوه:

_شكرا يا ضكتورة كده اخد العلاج وانا مطمن. سلام عليكم وشوية وافوت عليكم انا و سيدي عبد العزيز ناخد اللبن بتاعه اصل ربنا يبارك في عمره وافرح بشبابه و ولاده.. كبر فهيغيره.

أما نحن فكنا نضحك أسلوبه بات يشبه أحد المحققين وعلى رهبتنا من سلاحه. مع لمسة الحزن حين نسمع عن ضحايا تلك اللعنة.

وبعد دقائق عاد حاملا طفله الذي يكاد يصل لحجم ذراعه يفيض البشر من وجهه قائلا :

_اهو يا دكتورة سيدي عبد العزيز كبر وهياخد لبن و ادي اسمه في الروشته اديها يا عبد العزيز انت راجل دلوقتي...

تناولتها مداعبة الطفل و أحضرت عبوة لكنه طلب المزيد حتى صارت عشرة لم استطع إعطاءه أكثر من ثلاث حتى لا يحدث لدينا عجز لكنه أصر اخبرت السيد راشد الذي وافق فور سماع اسمه قائلا :

اديه يا دكتورة الطلبية جاية بكرة . وانا عامل حسابي لأن ابو عبد العزيز مش بينزل عندنا كتير.

تفكرت في عدد العائلات اللاتي تدخر ثمن علبة شهريا ثم تفوهت :

اتفضل بس ده هيعملي عجز لأن مش حضرتك بس اللي مخلف في اطفال صحتهم أقل من ابنك فبيحتاجوا اللبن ده . وممكن تشتريه من صيدليه تاني.

اعطاني ثمن العشر علب ثم تنهد وقال :

_و زي ما ربنا فرحني وشفا ابني سيدي عبد العزيز الخمس علب دول يا ضكتورة يفرحوا خمس عيال غيره بس يدعوا لسيدي عبد العزيز.

خرج لتتابع زوجته معي تفاصيل دواء ابنها بتوتر:

معلش يا دكاترة اصل ابنه الوحيد دلوقتي بعد ما الكبير راح للحلقة.

ثم وجهت حديثها تجاه الدكتورة القائمة على تدريبنا:

_ يا ضكتورة بس الواد طلعاله حبوب في جسمه نسيت اوريها للدكتور متبصيش عليها تكسبي فيا ثواب .

تفوهت بلطف: تمام هاتيه وخير إن شاء الله.

وبعدما فحصته بعناية كنت انا و شمس نتابعها بدقة وقد كان ما نخشاه أنه الجدري اللعين. انتشر إصابة اهل الحي به منذ مدة. و سيطرت فكرة انه من توابع اللعنة لذا بالرغم من توفر ادويته بات الجميع يخشاه.

احالتها لطبيب متخصص قائلة:

_خير متقلقيش... يستحسن توديه لدكتور الجلدية القريب من هنا. يعني هيديكي شوية مراهم و ادوية بسيطة و انا معاكي هقولك تتعاملي ازاي.

وبعدها دقائق من مغادرتهم خرج صوت طلقات الرصاص يقطع صفحة السماء. فقالت شمس تقلب كفيها مازحة :

_قتله!! راح الدكتور في عز شبابه.

لكنه كان يحتفل بتفوه ابنه بأول كلماته منسيه إصابة ابنه الوحيد بمرض بعد مرض.

قارب اليوم علي الانتهاء يوم ملئ بالأحداث متعب لكنه أرض خصبة لمذكراتي و هذا آخر وجه في يومي فتاة صغيرة تحمل بعض الحلوة شجعنا كرم وجود السيد الضخم بإسعاد الاطفال فاشترينا كل ما تملكه و خصصناه لمن يزورنا من الأطفال خيرتني الصغيرة بين مجموعة من الحلوة التي تشبه رأس الحصان الاسود بلعبة الشطرنج غريبة لكنها تظل حلوى تضيئ بضوء جذاب يذكرني بطفولتي و حين هممت بأخذ واحدة كانت الأصغر بينهم فودعت السيد راشد وشمس و الدكتورة وهممت بفتحها وانا اسير بذلك الشارع الضيق يضيئ بخفوت يعتليه الهدوء والصمت بصمات الأمطار ما زالت تلمع على تلك الازهار المنحنية من الرياح. لم اعير الظلام اهتمامي واكملت فتحها و فجاءة تغير لونها وزاد بريقها ولمعت الاضواء من حولي و زادت قوة الرياح حتى كادت أن تقتلع المنازل و تلقيني بعيدة. دب في رأسي صداع يفتتها، و علا صفير ذو لحن مميز وبوق سيارة اخترق رأسي من قوته فزاد من المها. تكور جسدي و أمسكت رأسي من قوة الالم حاولت الاستناد على الحائط لكن لو تحركت لكنت اجرب الطيران.

وقفت امامي سيارة لم ارى مثلها مستطيلة وعريضة ومتلونة بألوان مختلفة تزيد من لمعانها وكأنها ليس من عالمي كأنها...كأنها.. من المستقبل!

فُتحت من الجانب المقابل لي.. تحتوي علي ثلاث مقاعد امامية و مقعد بالخلف ومن يرمقها من بعيد يظنها حافلة وليست سيارة ترجل منها شاب طويل القامة اسود العين أظنه في الاربعين يتعرق جبينه بشدة قائلا بأنفاس متلاحقة:

اخيرا لقيتك دورت عليكي لما تعبت. وقبل أن اتفوه دفعني إلي داخل السيارة ثم اردف :

اعتذر ولكن هذا سيؤلمك قليلا فوخزني بإبرة بدأ عقارها يسير بداخل دمي لم استطع التحرك كأني اعاني من الشلل. اخر ما رمقته عيني اضواء كثيرة و بوابة ظهرت من العدم تدور وتلتف حول نفسها اخترقتها السيارة كالسهم فعاد الواقع لهدوئه الطبيعي و سقطت في سبات.

.....

الفصل الرابع

زمهرير

بدأ تأثير ذلك العقار يتلاشى تدريجيا من دمي، والاضواء تداعب عيني بقوة، اشعر بثقل وخدر بقدمي. حركت ذراعي بصعوبة اتحسس حجابي واتأكد من سلامة ملابسي تنهدت بقوة شعرت ولو للحظات بالاطمئنان. حركت رأسي يمينا ويسارا وزادت دهشتي من الم رأسي ما هذا المكان او بالأحرى ما هذا الشيء؟!. تبدو كسيارة لكنها ليست من عالمي أين المقود ؟!

اين باقي أدوات التحكم ؟!

انها الكترونية بالكامل أرى الطريق كأني اشاهده من التلفاز بل من شاشة على وجه الدقة. ثلاث مقاعد متجاورون كنت في الثالث منهم . الإضاءة خافتة وبألوان متنوعة كأني في احد صالات الرقص لا اري أي منفذ للهواء او لفتح باب السيارة بالطبع ان لم يكن تسمية ذلك الجدار المصمت بابا.

الهواء متوازن و نقى لأول مرة اشعر بهذا القدر من اللاتلوث يداعب رئتي. الحرارة معتدلة والمقعد يبعث راحة ويتخذ شكل عمودك الفقري حتى لا تتألم من طول الجلسة لطالما اردت كرسيا كهذا. تجمعت الأضواء المثيرة وتلونت السيارة بلون احادي اللون "الأبيض" وفتح من يجلس بجانبي علي بعد كرسي عينه .

عيون ليلية مظلمة وملامح متعبة وشعر كثيف بدأت بعض الشُعيرات البيضاء تختلس طريقها خلاله كثيف ليخفي شحمة اذنه. بقميص اسود، و بنطال اسود، و جسد مفتول. هيئة توحي بالهيبة والقوة استدار لي بنصف جسده فانهلت عليه بالأسئلة متظاهرة بقوة مزيفة تخفي براكين الخوف بداخلي :

ما هذا العقار الذي وخزتني به ؟وأين انا؟ وما تلك السيارة الغريبة ؟ و لما اتحدث بالفصحى ؟ والاهم من انت ؟

أجاب بهدوء وصوت رخيم :

سأخبرك بكل شيء حينما نصل لوجهتنا تمالكِ اعصابك.

تفوهت بينما ما زلت أحاول الصمود:

اي هدوء يا هذا انا اتعرض للاختطاف لا اعرف كيفية فتح هذا الشيء لكني سأصرخ بكل قوة.

أجاب بنفس هدوئه : لن يسمعك احد.

تفوهت بتحدي:

_ تحاول اختبار حنجرتي إذا لا تقلق امتلك صوت جهورا...

قاطعني بنبرته الثابتة كأحد الآلات:

لن تستطيعي لم يتلاشى تأثير المخدر بعد وإن تلاشى سأعطيك عقارا اخر لكني لا افضل ذلك كدنا نصل.

_ أ تسخر مني دعني ارحل؟!

بدأت بالصراخ لكن هذا الاحمق كان محقا لا استطيع الصراخ كأن حبال صوتي تلفت، و الوهن في جسدي يقيدني. فنظرت له بأخر ذرة من الثبات لدي :

من انت ؟ وماذا تريد ؟

لم يعرني أي انتباه وأوقف السيارة قائلا بحزم:

لقد وصلنا!

فتحت تلك السيارة بدون أي لمسة منه كأن الباب قد تلاشى ثم عاد للظهور مجددا . اتجه ناحيتي وتلاشى الباب بدوره وقف امامي بقامته الطويلة متفوها بنبرته الثابتة وهو يمد يده المغطى بقفاز سميك لي :

_لن تستطيعي الحراك جراء هذا العقار.

تفوهت هذه المرة بنبرة مهزوزة :

ماذا تريد ؟ و من انت ؟

أجاب بحزم مبعدا عيونه عني:

_يتوجب علينا الدخول. هناك من يحتاجك انت هنا لمهمة لن تتعدى الثلاث ايام سأعلمك تفاصيلها حينما نصل لا استطيع الحديث هنا سندخل لنحزم بعض الأمتعة المهمة وننطلق. لكن تأكدي ان العالم بأسره ينتظر دورك بها. اما عني ثم صمت لبرهة وقال:

فانا ليل زوجك!

لم يترك لي فرصة وجذب يدي وسط ذهولي. لم اكن استطيع الحراك كما ذكر استندت بقوة علي ذراعه و القيت نظرة على تلك السيارة العجيبة ثم رفعت نظري إلى عينه فظهر فارق الطول بيننا. الافكار تعصف في رأسي يبدو انه امر اكبر من الخطف، او انه لص ماهر لكن لما العالم يحتاجني انا بالتحديد.

لطالما كنت نكرة في هذا العالم الشاسع أحاول أن أذكر من المصلين المسبحين الصائمين القائمين المتصدقين تلك الصفات المدخلة للجنة. لكني اسير في طريق الله عرجاء اتخبط بين سيئة و أخرى فأرقع صحيفتي بالندم والاستغفار. لست من أولئك المميزين في جامعتي، و لا احد يعرفني سوى جملة أصدقائي .أي شيء قد فعلته ليجعل العالم يحتاجني ما انا إلا ترس في تلك الآلة العملاقة. بالطبع كل إنسان مميز كما يدعون لكنهم يقعون في غرام الشقراوات ذوات العيون الاوبالية او الشعر الحريري. للسخرية لست من المميزات في عيونهم ملامحي ليست صارخة الجمال ولا امتلك ذلك الأسلوب او الصوت الخاضع . لم تزر جسدي جينات متميزة ،ولا امتلك قدرة خارقة علي الحفظ و ذكائي عادي، ولا امتلك أي شيء يؤهلني لسوق العمل بعد. فلما العالم يحتاجني بينما سوق العمل يخبرني انه يجود الملايين من اللامميزين مثلي! لا يحتاجني العالم انه لخاطف محترف بلا شك. ارتفعت الأصوات في رأسي كعادتي حينما اقع في مشكلة تعلو تلك الأصوات المنغصة لتزيد من آلامي.

وكنا قد وصلنا إلى فوهة الكهف الطاغي عليها البساطة وكأنه ليس من عالم الذي تنتمي له تلك السيارة اريكة عادية و ثلاث كراسي وانار الحجرة مصباح بضوء أبيض هادئ وستار سميك يحجب وراءه طيف صنبور. ثم طرق ليل أذنيه مرتين فأظهرت سماعة أذن:

_ نحن بخير نعاني من عدة اضطرابات متوقعة. دوار و صداع و سيعالج العقار الأمر.

تفوه نديم بلهفة ممزوجة بفرحة :

_هل انت بخير يا صديقي؟ هل كلاكما بخير؟ هنيئا لك مر الصعاب ما آتي أيسر منه. لتعودا لإرجاع السيارة وسأعلمك بأحدث التغيرات. تذكر تأثيره على السيدة زمهرير وتحمل قد تظنه حلما أو هواجس توخى الحذر!

ليل

يخال صديقي "نديم" ان الجزء الاصعب قد تم بتخطينا حاجز الزمان والمكان والعودة. الرحلة مهلكة تشعر بنزع روحك من جسدك كأنك تحلق في أعالي الفضاء الهواء ينقص من صدرك الرؤية تنعدم و تفقد السيطرة على عقلك فلا تشعر بماهية الأمور حقيقة كانت ام مجرد خيالات تدوي بذهنك. يزدهر سمعك فتسمع حركة امعائك. ثم في لحظة تنطفئ كل حواسك. ظلام يعج بظلام. تتمنى حدوث أي شيء يمزق صفحة الظلام لكن لا شيء وأحبال صوتك لا تجدي نفعا حين تصرخ بقوة. وتدار الدائرة مجددا وتزدهر حواسك حتى تصطدم بالأرض كمن يقفز من طائرة دون مظلات. يرحمك ذلك العقار الذي يعيد توازنك فتعود لحالتك الطبيعية مع لمسة من ذلك الألم برأسك. تلاشى آلمي حين لاح طيفها امامي فباتت مشاعري مترنحة بين غضب و حنين. آمل ألا ينتصر حنيني حتى لا نخسر سنين العمل و نفقد الجميع . بقدر ما املك من قدرة على التخطيط بقدر ما تملك من عناد بقدر ما اعرف ان تلك المهمة هي الأصعب في حياتي. سيعاون عنادها الجهل بماهية الوضع الحالي وما يزيد من سوء الوضع هو انني مقيد لا استطيع اخبارها بأي شيء.

.....

زمهرير.

استقبلتنا فتاة بيضاوية الوجه تلف شعرها بحجاب مبعثر ملقى على رأسها، ليست بالطويلة ترتدي سترة مزخرفة بأكمام طويلة، و يداها محكمتان بهذا القفاز السميك الغريب. تقدمت إلينا منحسرة الدموع بعيونها البنية ولم تبالي لسقوط حجابها فكشف عن خصلات اختلست لون القهوة. كانت تصب تركيزها على ليل اقتربت منه رافعة رأسها لتنظر لعيونه و تداعب أناملها وجهه ولكن سرعان ما لاحظت وجودي فاتسعت عيونها و جعلتني استد عليها حتى اجلستني. ثم قالت بصوت متوتر:

_لا تقلقي سيدة زمهرير هذا العقار سينتهي مفعوله خلال دقائق.

قطعها ذلك الضخم متفوها بنبرته الثابتة :

_" شفق "ستساعدك في تبديل ملابس بملابس تناسب المهمة و برودة الجو، و لا تقلقي ساترة لا تصف و لا تشف و فضفاضة بعض الشيء.

جلس لوهلة ثم أخرج من جيبه زجاجة خضراء لها سنن مدبب لتجعلها جاهزة للحقن و وخزها في وريده حتى انتصف ذلك السائل الأخضر داخلها و تبدل السن تلقائيا. ثم تابع بعد ما اغلق عينه محاولا إخفاء الم ما اخترق جسده:

_تأكدي من تناول العقار. مهم جدا في رحلتنا سيؤلمك بعض الشيء لكنه آمن، و تناولته امامك حتى يهدأ قلبك استعدي !

أخيرا استطعت الوقف و ناديته اثناء ذهابه :

_يا ذا الوجه المستطيلي!

استدار لي بجسده

فتابعت بكل ذرة شجاعة امتلكتها:

_ أ تظنني طفلة ماكثة أمامك أراك تكمل في طريقك وفي كذبك لن انفذ أي حرف مما تقول. احمقا يردد انا زوجك ويحك اجيد كتابة القصص جيدا ألف رواية بها حبكة أكثر من قصتك تلك! وهذا السائل الأخضر أمتلك معرفة بالدواء كبيرة انا صيدلانية يا هذا اعطيك نفس القارورة و أتناول نصفها مثلما فعلت ولا تأثر بي. ما ادراني أنك لم تتناول عقار يعطلها او تريقا ان كان سما؟! هناك احتمالات عدة .ومن تلك الفتاة ؟! لم تعير حجابها اهتماما حينما سقط!. و نبرة صوتها المهزوز و رجفت يداها ثم تابعت بسخرية : وانت يا زوجي لتتكشف خدعتك لم تبرر لي لماذا لم تصرف شاخصيك عنها؟ و هي تناديني سيدتي و تنظر لك بكل تلك اللهفة الممزوج بالخوف!

ثم صرخت بهم بكل قوة : أعيدوني لمنزلي الآن من يوظف خاطفين بهذا السذاجة ؟!

تفوهت شفق : سيدتي..

قاطعتها : لست بسيدتك لست بسيدة أحد .

امسك ليل الكرسي بهدوء متغافلا عن هجومي السابق ثم جلس أمامي قائلا:

_شفق هلا احضرت لنا ملابسها من الجانب الآخر للغرفة.

خرجت دون أي إضافة سوى التقاط حجابها و احكامه هذا المرة .

تفوهت باستهزاء:

_لنرى بأي الترهات ستتفوه هذه المرة ؟!

لان صوته قليلا متفوها:

_ هلا جلستي من فضلك. هذه شفق أختي لذا لم تعير حجابها الإهتمام حينما سقط وتنظر بخوف لان الرحلة لإحضارك صعبة واحتمالية موتي كانت كبيرة. أما عن تصرفاتها فهل تظنين السفر عبر الزمن و احضار شخص من الماضي أمر سهل! صدقيني ما أنا بخاطف او اريد ايذئك.

رفعت حاجباي بشك :

_أختك! حقا! لا تجيد الكذب استطيع التفريق بين نظرة العاشقة والأخت، و اي رحلة ؟ ومصمم هذا المكان ممتاز بحق لما كل تلك التكاليف لإقناعي اني بأمان و في المستقبل. أي مستقبل! وانت أظنك في الأربعينات من عمرك! هل سافرنا بالزمن بضع سنين؟! لن تنالوا اي فائدة مني سوى جملة أعضائي التي ليست على ما يرام ، ولما اتحدث الفصحى ولا استطيع اخراج كلمة عامية عبر حدود فمي؟!

تفوه بهدوئه المعتاد :

_ أنا لم اخطفك انت حقا هنا لأمر جلل . وأنا زوجك.

استهزأت باسمه قائلة :ليل! من يسمي ذلك الاسم؟

_ جدي لأمي .

تعجبت من إجابته المباشرة ثم تابعت اسئلتي بعقلانية اكثر:

_ما ذلك الأمر؟

_ لا استطيع اخبارك هنا حينما نغادر سأعلمك بكل التفاصيل.

_ومتى تزوجنا ؟

_منذ مدة ليست بالكبيرة لا استطيع اخبارك بالوقت بالتحديد هذا اختراق لقوانين سفري وما كان اخبارك بزواجنا ضروري إلا ليهدأ قلبك حين ترافقيني.

كورت يدي ثم ضربت الطاولة بتحدٍ:

أثبت لي أيها الكاذب انك زوجي ؟ لما لا تروي لي تفاصيلا خفية!

رخامة صوته طغت على نبرة الحنين به فتفوه:

_ ما رأيك أن نترك تلك التفاصيل لروايات المخبئة في درجك. ومذكراتك التي تطالعينها قبل ان تغلق عينك و بعد ان تفيقي إن رودك حلم تودين تدوينه. تصارعك تلك الأصوات المنغصة حينما تعلقين بمشكلة. تحملين أحزانا و تتلونين بوجهك الباسم او كما تقولين "لا أعبر عن حزني بعبراتي بل بكثرة بسماتي "او" تفضلين البكاء الممزوج بالبسمات لا الممزوج بسم الآهات " ماذا عن الطبيعة و السير ليلا وسط النجوم! لم تكن الورود مما تثير سرورك كهدية مثل فتيات سنك بل تحلمين بباقة من كتبك المفضلة مع القليل من طعامك المميز، و لديك حلم ان تنجبي أطفالا يسيرون معك ليلا و تهمسين في أذنيهم قائلة "انتم قطعة من نجوم السماء"، وتحبين الأرقام والحديث بها، و تفضلين طلب العلم لكنك تخشين ان يزاحم الشيطان نواياك فلا تطلبينه إرضاء لله بل لذاته و لشهرة صاحبه. تودين ان يكون اول اولادك من الذكور و الباقي من الإناث، و أخيرا تعانين من حساسية من الفراولة و فراء الحيوانات.

جلست بهدوء على الاريكة من دهشتي التي حاولت اخفاءها، فهو يعلم تفاصيل مخفية في اعماقي ربما اكبرهم تخيلاتي عن اطفالي و خوفي من أن تزوغ نية تعلمي لم اصارح امي التي هي اقرب شخص لي به، ولم تخطه يدي في مذكراتي خشية وقوعها في يد احد اخوتي فلا انجو من استهزائهم.

انتشلني من دهشتي بصوته المميز لقد بدأ يداعب خلايا عقلي كأن هالة من الذكريات المشوشة تتدفق الى ذهني لا ادري أهي ذكريات مصطنعة جراء حديثه المستمر ام ماذا ؟!

عدت للواقع بسبب صوته الرخيم قائلا :

_ اتت ملابسك وتذكري العقار. اتمنى اخضاع تلك الاصوات في رأسك حتى نصل لوجهتنا .

تكلمت بصوت اهدأ :

_سأذهب بذي لن اتقلد منه .

تفوهت شفق برجاء:

_ سيدتي ذلك الرداء غير مناسب لبرودة الجو هنا و أما الحذاء سيعيق حركتك من الافضل لو ارتديت تلك السترة فضفاضة للغاية و طويلة يفصلها عن كاهلك بعض السنتمترات و هذا السروال فضفاض لا تقلقي . و حذاء رياضي.

أجهل ما تخبئه تلك الفتاة في جوبتها لكن كلما نظرت لعيونها أشعر بوخزة في رأسي، و ذكريات مشوشة. أما عن الشاب ذي الوجه المستطيل كلما التقت عيوننا تزداد تلك الوخزة مع وخزة تفوقها الماً في قلبي.

رأى الامتعاض يتسلل الى وجهي لا أنفي أن الازياء ساترة لكنهم حتى افهم قصتهم غرباء لن أستمع إليهم.

كادت أن تهم بالحديث فقطعها ليل قائلا:

حسنا كما تريدين نسأل الله أن لا نتعرض لشيء .لكن تأكدي من العقار من فضلك هذا اهم ما في رحلتنا، ثم رحل .

ليل

_الامور تسير كما خططنا فلتستعدوا سنلتقي بعد ساعتين. وتذكروا ارتداء قفازاتكم.

داعبت يده سماعة اذنه فأنهى المكالمة، استند على سيارته يتأمل السماء رأسه مليئة بالاحتمال لكنه يقاومهم باحتمال واحد لابد أن تسير الأمور حسب الخطة. لكن ماذا لو اضطر لمواجهة الموت مجددا لكن هذه المرة بإرادته.

ماذا لو واجه ما هو اكبر؟!

القتل؟!

تلك الجريمة تزهق روحك. القتل ليس فقط ازهاق النفوس الأخرى. انت ترتكب هذه الجريمة كل يوم. تقتل أحلامك بتفريطك بها. تقتل خططك بتأجيلها. تقتل حواسك باستخدامها المفرط دون راحة. امتلكت حياتنا نوع من الراحة الكاذبة، حتى احلامنا حين نغفو ترهق عقولنا. لن تخلق الراحة في دنيانا لكن بتدخلنا لمحاولة خلقها باتت مصدر هلاكنا .

الفصل الخامس

صعدت الى تلك السيارة العجيبة وجلس ليل بجانبي لم يتفوه بكلمة كانه يخاف من تلاقي عيوننا أو من الحديث

تفوهت بشك أكبر مشيرة له :

_مازالت أراك كاذبا لا أتزوج أحدا من ذووا الشعر الطويل ألم يزر رأسك مقص منذ قرون؟!

لاحت على شفتيه ابتسامة حاول جاهدا اخفاءها ثم اخرج من جيبه جهازا غريبا يشبه الهاتف رفيع و اسود اللون وضعه امامي فأصبحت شاشته تطفو في الهواء بدأ بعرض بعض الصور من زفافي. أمي وأبي يحتضناه بشعر أقل و جسد ارفع لكنني لا أرى وجهه. تبدو الصور حقيقية لدرجة كبيرة .

تفوه ناظرا لي لأول مرة منذ أن صعدنا تلك السيارة العجيبة:

_أ تحتاجين إثبات اخر؟ يُعد ذلك اختراق للقوانين لكن اختراقها لا يضير بقدر عنادك دعيني أركز في طريقي.

ما تجرأت بالنظر إلى وجه أحدهم بهذا القدر لكنني منذ أول لحظة أمل الهرب. وتفحصته بشدة حتى أدلي بشهادتي. أخشى أني بدأت اصدق أمره ولربما ازداد توتري كلما تذكرت أن العالم يحتاجني. فضولي انتصر في الجولة أمام توتري وسألته : اين المقود و إلي اين سنذهب ؟

ناظرا أمامه ودون التفاف:

_الى المكان الأوحد للحديث عن مهمتك وعن كل الاسئلة التي تثير إعصار ذهنك. تلك سيارة من المستقبل.

_ كيف تعمل تلك السيارة ؟ ألية إذا؟

_نحن كما لاحظتي في المستقبل لا يمكنني اخبارك بأي شيء حتى لا يتغير .

_ في اي عام ؟

_لا استطيع اخبارك.

_هل انجبنا اطفال ؟

_ لا استطيع اخبارك .

تفوهت بضجر أعض باطن خدي من الغضب:

_ألة الزمن مستحيل صنعها وان كنت هنا فأنا التي في هذا العام ستختفي وهذا يعني أنني إن مت هنا فأنا الأخرى ستموت دون مواجهة المستقبل التي سبق وعاشته. هذا أمر مربك!

أخذ شهيقا ثم قال :

_لا تقلقي إن صارت الأمور حسب خططي فلن يحدث أي شيء يضرك في الماضي أو يضرك في المستقبل.

_نحن اقدار ونسير هذا مقدر لن تستطيع تعديل المستقبل بالرجوع الي الماضي. قدر الله وقد وقع ولن تستطيع تغيره.

داعبت يداه جهازا لوحيا امانه ثم قال:

_ ربما كان من الأسباب التي تؤدي للمستقبل هي العودة الى الماضي. قديما كان من يصاب بمرض السكر يقولون قد أتت ساعته لكن هل باختراع الأنسولين تحدى الأنسان – استغفر الله – الموت أو آخره قال تعالى: إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ".[1] لا بل إن الله قذف الفكرة في قلب العالم وجعل ذلك الدواء سبب ليفيق ذلك المريض لان ساعته لم تأت بعد .

تزامنا في قول : كلنا اقدار تسوق إلى اقدار. وكلها ايام ويمضي الاختبار وأما جنة أو العياذ بالله نار.

أزاح برأسه واغمض عينه و رأيت في صوته لمسة حنين تحاول الظهور:

_أخبرتك اني اعرفك.

كانت تلك كلمتي المفضلة اردددها بين الفنية والأخرى. بدأت العاصفة تهدأ داخلي بعض الشيء. و ان سيطرت على زوبعة أفكاري فلا اسيطر على فضولي فسألته:

---

[1] [نوح : ٤]

_ ما تلك البيوت ؟ هل نحن في مصر ؟ كنت اظن في المستقبل ستطفو تلك البيوت لأعلى لتتلاشى الأخطار

_لسنا في مستقبل بعيد نحن في مستقبل قريب .

نقلت شاخصاي لأبصر تلك المدينة الجميلة . بعدما فقدت الأمل من استخراج الكلمات منه . لكنني لم أتوقف عن اسئلتي.

بيوت على الطريقة السنغالية قرأت عنها منذ عدة أشهر حيث الخصوصية فالبيت مغلق بالكامل يعتمد على التهوية الداخلية فبداخله يوجد مسطح ماء لتلطيف المنزل وبضعة أشجار_ كما قال ليل _ امتلك اسلوبي الخاص في جذب المعلومات لكنه أكد لي أنه ليست مهمة مادامت متواجدة في الماضي تلك البيوت كانت تصمم في العصور الاموية قديما.

اعتلاني الذهول حينما رأيت شارع "الاقحوان " احتضن ذلك الطريق ممر من زهور الأقحوان المختلفة لكن الأقحوان الازرق سيطر وبقوة . شعور بالهيئة والجمال يطغى على المدينة . و بالرغم من هبوط الليل إلا أن المدينة تشع نورا . يبدو أن السماء بكت بغزارة قبل قليل فمازال اكليل الندى يتوج بعض الشجيرات و يضيف لمسة فنية للشوارع، و القمر متخفيا وراء بعض الغيوم لكن جزءا منه يأبى الاختباء ويظهر على استحياء ليزيد بنوره من رونق المدينة، وهناك أجهزة تعمل _كما أخبرني ليل_ علي سحب تلك العوادم الصغير التي تخرجها المنازل والسيارات فبعد ضغطي عليه أخبرني أن السيارات والمدينة تعمل بالطاقة الشمسية ولنتأكد من جودة الهواء تنقيه تلك الأجهزة . لكنه علل أنها ليست معلومة مهمة لأن هناك بالفعل مدن في عصري تعمل بالطاقة الشمسية. سألته عن البشر اي السكان فأخبرني أن اليوم احتفال و هناك اللعاب تُقام على الجانب الآخر من المدينة ، حدث ثانوي يهتمون به وهذا انسب وقت لإحضاري حتى لا يراني أحد. انتابني بعض القلق لكن الجمال الساحر للطريق كان كافيا لتخفيفه. كادت روحي تنخرط وسط ما أراه من جمال وقد ازدادت برودة الجو و ردائي لم يكن مناسبا لتلك الأجواء. حيل الطريق إلى ارض صحراوية . زادت البرودة بشدة و بدا ذلك البرد مسيطرا على كل أطرافي حتى ارتعشت شفتاي لكن سرعان ما أخرج ليل معطفا من الجزء الخلفي للسيارة . بضغطة زر قائلا:

تفضلي...حينما ننتهى من هذا الطريق ستصبح البرودة متحملة .

وفجاءة بتر حديثه صوت إنذار وعداد سرعة و وقت احتلا يمين ويسار الشاشة اندهش ليل من وجودهما ثم نقل عينه بينما يستعد بحزام الامان حول خصره قائلا بغضب:

_لا لقد تناولت العقار لا يمكنني الاشتراك هناك خطب ...ارجوك أخبريني انك تناولته.

هززت رأسي نافيا ثم ألقيت اللوم عليه لأنه لم يريني صور الزفاف لزادت نسبة تصديقي له . خلته اخترق هاتفي وتجسس عليَّ . لأنه اخطأ في معلومة مهمة. لا أعاني حساسية من الفراولة. لأول مرة يخرج عن صمته و غلى رأسه من الغضب كقدر من الدماء:

_اي اختراق من انت ليخترق احد هاتفك انت مغمورة وسط هذا العالم. إن فعلها أحدهم سيضايقك في مدينتك لن يأت بك إلي المستقبل. لقد تسببت في تعطيلنا و ربما دمارنا. ثم عاد يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة ليعود لهدوئه.

السيارة تستعد لتتحول لسيارة قتال. ازداد وضوح الشاشة و حجم الاطارات و قوة احكام الغلق، و قد حاوطتني احزمة الأمان بشدة، فصفعت يده اللوح الامامي بقوة، فأنطلق كصاروخ يحترق أسفله الطريق. وسط اندهاشي لما يحدث و تمتمته بتلك الكلمات غير المفهومة صحت به:

_ماذا يحدث ؟ ما هذا الجنون ؟

كان العد التنازلي قد بدأ كأن هناك قنبلة على وشك الانفجار. عبر عرقه الشديد عن زيادة توتره، وعيونه لم تفتح منذ انطلاقه. بدأت السيارة تهتز كأن بها جان فصحت بقوة أكبر بالشهادتين و سؤالي المتكرر ماذا يحدث حتى توقفت السيارة دون سابق إنذار، ولولا أحزمة الأمان لاخترقت زجاجها الامامي من هول السرعة.

امسك ذراعي بقوة وهو يتصبب عرقا ويمسك عقارا اخر يصبه داخل أوردتي. فتألمت بشدة و صرخت به لكنه لم يبالي وبدأ بتسليحي بقوس مميز و حقيبة ثم تفوه بسرعة:

_لقد خسرنا بسب صراخك المتكرر في أذناي وعدم إطاعة الأوامر. أخبرتك أن العقار اهم ما في رحلتنا . ثم أشار للعقار بيده هذا العقار سيمنحنا بعض الوقت . فلتدعي بشدة حتى لا نقتل في هذه المعركة.

كان الم الوخز يخدر ذراعي فصت به مكملة:

_ماذا يجري ؟ و اي معركة؟

تحركت السيارة الي حلبة بها الكثير من البشر غريبي الهيئة كأنها أحد حلبات قتال العبيد التي رأيتها في بعض الافلام الوثائقية، رمال في كل مكان، و محاطة بجدار شبه شفاف يفصل الجمهور عن الساحة الرملية، و حين رأوا ليل باتت صرخاتهم تدك الساحة دكا. صعد من تحت ارض الساحة للسماء رجل أظنه أربعيني ابيض البشرة مهندم الشعر املس الوجه. يرتدي رداء يلامس الأرض يعطيه هيئة ضخمة ولكن يكشف معصمه عن جسده النحيل. ينظر لنا بازدراء، يسير على منصته بغرور حتى وصل لكرسيه كان كبير الحجم به بعض النقوش الغريبة و بلون سماء مرصعة بالغيوم يحاكي كراسي العرش المتواجدة قديما. تربع عليه ثم ألقى كلماته بصوت مزعج جهور يسمع الجميع :

_اظن سيداتي و سادتي أنني لم انم، أو أنني في حلم، أو أصاب عقلي الخرف. كل تلك الحجج تقبل التصديق عدا أن سيد ليل معنا في تلك الحلبة! ومن تلك الغريبة هناك؟ لا يهم يكفينا شرف لقائك سيد ليل. هذه مرتك الاولى منذ غياب والدتك ثم تابع بنبرة استهزاء:

_ مقولة صحيحة إذا غاب القط..

فانفجر الجميع ضاحكا. ثم عاد لحديثه باستعلاء:

لا يليقون بك هؤلاء الكسال ضعيفي البدن والذهن، بل سيحدث تغير صغير لن يمانعه احد: بدخول أسياد تلك اللعبة ليكونوا خصما ممتازا لك . لسوء حظك و حسن حظنا بالتأكيد خسارتك في سباق السيارات بهذه السهولة! لا بأس لكل جواد كبوة، ثم اكمل مستهزئا:

_ هل ستسعد والدتك بمواعدة الفتيات الغريبات لم تحسن تربيتك كما لم تحسن اي شيء! ماذا عن زوجتك المسكينة تظنك رجلا محترما يخشى ربه! عائلتك بأكملها لن تسر حين تبصر وجهك يضيئ الشاشات.

ترجلنا من السيارة ولأول مرة احتمى به لكن بداخلي شعور ضئيل اني من اريد حمايته. تحدث ليل بنبرته الرخيمة يشوبها بعض الغضب:

_هامان.. هامان.. والدتي وزوجتي و يجرؤ لسانك على تلفظ اسمهما وسط هذا المستنقع القذر. حسنا لا يُعاب الجرز على أكل الحثالة!

ثم وجه كلماته للجمهور:

_هل رأيتم ذبابة تسخر من ملك لا يسمح لها بدخول قصره حتى لا تعكر عليه طعامه؟! تلك الذبابة تعلم أنها لن تستطيع إفساد طعام الملك و الملك يوقن ذلك لكنه يرحم عينيه من رؤية هيئتها المقززة. جميعنا نعلم من الملك و من الذبابة الليس كذلك يا ذبابة العالم الصغيرة ؟

انفجر الجميع ضاحكا بشكل همجي و بدأ يعلو الصفير و الصراخ فأحتقن وجه هامان بالدماء

ثم ابتسم ليل ابتسامة سخرية مردفا:

_ سنواجه من شاركنا في السباق تلك القواعد. كما أنني اثق في قدرتي على انهاء تلك المعركة في نصف الوقت، أم عن خسارتي فلقد سئمت الفوز المستمر لذلك حاولت مشاطرة هامان شعوره المتكرر بالخسارة.

عاد الجميع ضاحكا فانفجر هامان هذه المرة غاضبا:

_ليل المغرور! ستلقى حتفك هنا في تلك الساحة فانت و هذه الغريبة تحت قبضتي و هنا عالمي وارضي، هنا السيطرة لي لا انت ولا قوانينك مسموح لكما بإبداء اي رأي. تتفوه تلك الكلمات عديمة الفائدة لأنك تعلم ما مصير كل آرام يشارك في تلك اللعبة،

لنرى كيف ستهرب من قبضة هؤلاء؟.

لتبدأ أعزاءي الحضور حفلتنا مرحبا بكم في الغابة.

الفصل السادس

زمهرير

الجمع غريبو الشكل كأنهم من كل البلاد لا تحدد هيئة مشتركة بينهم، لا يوحدهم ملبس أو عرق، بل صرخاتهم المستمرة كانت طابع مميزا لهم. عادت الأسئلة تعصف بي مجددا لما يدعونني بالغريبة بالرغم من معرفتهم بليل؟! ذاك الرجل هناك تتبع من عيونه علامات الكره والغضب. يرمق ليل بنظرات حارقة كأن بينهما ثأر لم يبالي باستهزاء الجميع وضحكاتهم بل اهتم بوقع ليل –كما يقول– بشبكته.

معركة! أي معركة ؟! هل هي معركة قتالية لا اجيد القتال وطغت على ليل ثقته في النصر ماذا عني؟ صحوت من تفكير على صرخات ليل:

_فلتركضي بكل سرعتك هيا.

بدأت بالركض وحذائي كان متحالفا مع خصمي على هزيمتي. اتعثر تارة وأكمل تارة أخرى، حتى نزعته من قدمي الرمال تداعب قدمي بنعومة و برودة تثلج أقدامي، و تعقني عن الركض، ومن يلاحقني يرتدي رأس أدْلم[٢] مقتول وملامح تعلوها الوحشية ضخم البنية واسع الخطوة يحمل مطرقة بأشواك. بملابس بلون الشفق، و حين سمع صفارة البدء ظهر من تحت الارض على غرة و ركض نحوي بقوة. يلقي بمطرقته الضخمة يحاول إصابتي. مطرقته تكاد تصل لنصف طولي لكنها كبيرة و ضخمة كضخامة السيوف الأوربية مع كل تسديدا منه يعلو صوت الجمهور مهللا وحين تخطئ يزمجر بقوة، و تعود له تلقائيا لترتبط بيده كأنها جزء منها، أنفاسي تتلاحق بسرعة ونبضات قلبي ستشق صدري من شدتها، الرؤية يقل وضوحها بالتدريج جراء نقص الأوكسجين من دمي، فاخطف الأنظار بين الطريق تارة و بينه تارة، وبدا يستعد بقوة هذه المرة للرمي بمطرقته الغليظة فتوقف الزمان عندي في هذا اللحظة و كما شعرت أن فؤادي سيتوقف عن النبض من الرعب لكن حمدا لله نجوت من رمياته بأعجوبة عندما تدحرجت على الرمال، وبدأ الجمهور بنعته بالخاسر ملطخ دماء الادْلم على كتفه بالعار. أجهل وجهتي الصحراء تنتهي من تحت قدمي بدأت ابصر طيف اسلاك شوكية، قفزت بقوة لأتجنب اخر رمياته. لم ابالي بالإصابات في جسدي جراء تلك الاشواك التي نالت حظا وافرا من ألمي حتى بعد

[٢] ادْلم : اسد شديد السواد

ابعادها وتقطيعها بالقوس. حين ضاعت رميته صرخ بقوة كأنه ضيع فريسته، زادت سرعته حتى يقترب مني فأصبح بين و بينه تلك الأشواك اتسعت عيوني زعرا و انعقد لساني و بداخل أيقن أنها النهاية حتى شكلت تلك الأشواك حاجزا بيننا صعقه حينما حاول الاقتراب فأبتعد يجر خيبة الأمل بقتلي و راءه بسبب صوت بوق يقطع صفحة السماء وصوت يخترق أذناي بقوة:

" لقد انتصرت الفتاة الغريبة والسيد ليل فليستعد الجميع للجولة الثانية ".

تنفست شهيقا قويا بدأت الدماء تعود لوجهي فهدأت من روعي قليلة وتأوهت متألمة من جروحي. تضرر ذراعي الأيمن وتهتك ذراع سترتي لن تكون اختي سعيدة برؤية زيها الجديد هكذا، واحتلت الرمال سترتي واضعة بصمتها على وجهي. ادور برأسي يمينا ويسارا لعلي افهم ما يجري، ثم حركت ذراعي المصابة برفق لأرى ما في حقيبتي: شرذمة من الأدوات او الأجهزة الغريبة لا افقه عنها شيء، و إسعافات أولية ضممت بها جرحي و حاولت ستر ذراعي و سائل ابيض في قارورة كالتي كان يتجرع منها ليل العقار. قارورة بغطاء يشبه التاج الملكي، وأخيرا جهاز غريب كالهاتف الذي يحمله ليل. طفق يرن مظهرا صورة ليل تلاعبت أصابعي به حتى ظهر ليل أمامي كأنه صورة ثلاثية الابعاد ويلتقط أنفاسه بصعوبة قائلا :

_هل انت بخير؟!

هززت رأسي بالإجاب فأكمل بصوت يجاهد للخروج جراء تنفسه السريع :

_انطلقي لشجرة مميزة بفروع يعلوها اعلام أقحوانتيه. لديك في الحقيبة كل ما تحتاجينه من اسعافات، وحافظي على الحقيبة والقوس سأرسل لك موقعها، اراكِ بعد نصف الساعة.

اغلق فهرولت أعرج جراء قدمي المصابة أحمل الكثير من المشاعر من الخوف والتساؤل بداخلي، ثم هدأت من سرعتي متمعنة في تلك الغابة الفاتنة التي افترشت الأرض بالأقحوان الازرق. ربما ظهرت بسمة جانبية حينما تذكر حديث استاذ راشد عنها. الجو يعبق برائحة الياسمين و الاقحوان، امتزجت مشاعري بالألم و الجمال الأخذ لقمم الاشجار المتشابكة فوق رأسي تخلل خلالها ضوء القمر مضيف بريقا خاصا لها بالرغم من الظلمة. ضوء كافي لإظهار جمالها، وفي مكان تلاش عنده التشابك تراصت النجوم كحبات من اللؤلؤ المنثور يزين وجه السماء.

وصلت للشجرة الموعدة كانت طبيعية الهيئة حتى استندت عليها فأنشق جزعها نصفين كبوابة، فسرت اتفحص داخلها ما كان يشبه الوكر حائط به خريطة كبيرة وكرسين من الخشب المغطى بالإسفنج والجلد بلون يحاكي لون الأشجار يدوران حول طاولة مستديرة تشبه جزع شجرة مقطوع، وامتعة بها بعض مشروبات الطاقة، و طعام معلب و مصباح بضوء ساطع يتوسط تلك الغرف الصغيرة. القيت بجسدي على أحد الكرسين، ثم اغمضت عيني لأرتب أفكاري، واستجمع المجريات الماضية. كدت أن اقتل الخوف يسلكه طريقه ليسد ما بين جوانحي، واجهل حقيقة ما يحدث.

طالما كان الجهل اكبر مخاوفي: لأن الجهل يورث العجز. نهاب الظلمة لأننا نجهل ما تحوي. الجميع يهاب القرية لجهلهم لما يختبئ بها، عقولنا تعتاد المشاعر والأمور كلما زاد الاعتياد كلما قلة الرهبة، لكن الوقت غير مناسب ليتملكني الخوف سيأتي ليل وسيشرح لي الامر لا يوجد وقت انسب من هذا لأتفهم حقيقة هذا العالم. كنت اصف يومي و حياتي بالملل لكن لا أريد هذا النوع من الحماسة. لأعود إلى وطني سالمة وسأسحق ذاك الشعور. أمتلك الدنيا بحذافيرها مأكل ومشرب و ملبس، واحتميت بمنزلي من مخاطر العالم، و صحة بجسدي. فتم سحب بساط تلك النعم من تحت قدمي دون أن أشعر. اعلم أنك تختبر صبري و تريني نتيجة اعتراضي المتكرر لكن لمن أذهب و بمن احتمي! و من يجبرني و ينقذني من تلك الأهوال غيرك يا أله. لا حول لي ولا قوة لا امتلك إلا لساني الآن فلا تحرمني من ترديد ذكرك و دعائي لك يا ذا الجلال و الاكرام، واكتب لي النجاة من تلك المحنة.

بينما اغرق في افكاري والآمي ظهر ليل مغطى بالتراب به أثار عراك كدمات جسده تشي بذلك، وتمزق قميصه كمن نجى من الطعن ولكن كتفه لم يحالفه الحظ ليعطي الراية لظهور ذراعين مفتولين يعلوها اثار كدمات و جروح قديمة تعافت لكنها تركت بصمتها على ذراعه. بالرغم من إصابته إلا أنه مازال محتفظا بذينك[٣] القفازان .يعوق نزيفه بقميصه الممزق. بدا غاضبا ثم لانت ملامحه حين رأى حالتي، فأحضر أحد الامتعة وبدأ بإخراج علبة اسعافات أخرى ليضمد جروحه. انتابني القلق لهيئته فهممت اساعده لكنه أبى، و حين لمست جسده دب بداخلي قشعريرة غريبة ربما لأنني لم اتواجد مع رجل في مكان خالٍ من قبل، او لخجلي من هيئته. لكن حقيقة الشعور اجهلها لم اتذوق مثلها. بدا متألما أثناء تضميد جرحه لكنه يأبى الاعتراف. اتابعه في صمت وخزة تدب في قلبي كلما تألم يراودني شعور بفعل شيء اجهل ماهيته كم اكره شعور الجهل. أشار إلى حقيبتي فناولتها له، فأخرج ذلك السائل

[٣] ذانك تشير إلى مثنى

الأبيض يتنشق جرعة صغيرة عن طريق انفه على عجل ومد يده بجرعة أخرى لي كان التاج الملكي هو بخاخ للأنف مميز الشكل يتبدل مع كل استخدام. تفوه لأول مرة منذ دخوله دون النظر إليَّ:

_ هذا سيسكن الم ذراعك.

تناولته ثم ابتعلت اسئلتي المتعددة رق قلبي لحاله ليهدأ أولا ثم انهال عليه بشلال اسئلتي. لكني حاولت كسر حاجز الصمت بيننا و لترويض شعوري المضطرب:

_ألسنا في المستقبل؟

اوم برأس مؤكدا فتابعت:

لما تحمل عقارات إما تشرب او تحقن اليس هناك أقراص ام انتهى تصنيعها؟

تفوه محاولا إخفاء المه:

_الادوية تأخذ عن طريق الآنف او توضع أسفل اللسان كما تعلمين ليمتص الجسم اكبر قدر منها: لذلك حيلت معظم الادوية الى لاصقات توضع اسفل اللسان او استنشاق عبر الآنف هذا كان واردا بشدة في عصرك لذلك اخبرك به، وهناك بعض الادوية التي مازالت تحتفظ بهيتها كأقراص.

فتش في الأمتعة مكملا : لكنني اعاني من صعوبة في البلع فأتناولها كشراب.

ارتدى ستره قطنية بلون ابيض مشيرا اليَّ : اعطيني ذراعك المصابة.

ثم وضعه داخل جهاز يشبه جهاز الأشعة لكنه أكثر تطورا يظهر التقرير بشاشة هاتفه. بعدما انتهى من عملية الفحص حاوط الجهاز جرحي بدقة، ثم تشكل تلقائيا ليحاوط المنطقة المصابة فقط. وخزني بإبرة تخرج منه فتصعد الالم ملامحي لكنه عاد بذبذبات مدلكا لجرحي ، وفرد دهان غريب أبيض، ثم أطلق مجموعة من الأشعة على ذراعي فأختفى على أثره جرحي كأنه لم يكن تاركا بصمته المؤلمة. جهاز لم أرى مثله قط! المستقبل مذهل بحق ما هذا التطور!

تابع بعدما اطفئ الجهاز:

استنشقي هذا مسكن الألم سيزول تمام بعد بضع دقائق. تعانين من صعوبة البلع أيضا.

اتسعت عيوني وتفوهت:

_ هذا سحر!

وبنبرته الرخيمة أجاب:

بل علم!

سألني: أبك إصابات أخرى ؟

فأشرت إلى كاحلي فكرر الأمر معه وحمدا لله اني تناولت المخدر فالألم يزيد كلما زادت الإصابة.

سألته متعجبة:

_لما لم تعالج جرحك به ؟

أجاب بينما يكمل إسعاف جراحه:

_ لابد أن تعودي دون أي إصابة. أمامنا ثلاث ايام حتى تتمكنين من العودة. منهم اليوم . والجرعة تكفي المقاتل أو القائد، وحينما ننجو من تلك الغابة سأتدبر الأمر، واعدك هذه المرة بأخبارك بكل شيء يخص هذا الأمر لكن يتوجب علينا النوم الآن والاستيقاظ فجرا. هذه من القوانين وإن مرت الدورية الآلية ولم ننم سيخصم من نقاطتنا ونحن بحاجة إلى كل نقطة للمواجهة النهائية كما أنه مفيدا لعقولنا. المراحل القادمة معارك عقلية دون سلاح انت وعقلك وحسب . تأكدي من ارتداء الزي.

زمهرير

توجهت الى غرفتي كما أشار. غرفة بملامح بسيطة وبدائية بها تخت صغير بالكاد يكفى لشخص و رفرف بها زي بلون ازرق قاتم سترة طويلة وسروال واسع يشاطرها اللون، وحجاب، و زينة للشعر يبدو أن هذا زي الفتيات علي اختلافهم. لما زي الرجال ابيض احب هذا اللون بالتحديد حين ارتدائه صاحب العيون الليلية .لا أظنه الوقت المناسب لهذا لكن اللون ذاد من وسامته لا ادري لما اتفوه بهذا الأمر لكن تلك الكلمات ينسجها لساني بسهولة كأنه معتاد على الأمر. ربما بدأت بتصديقه أنه زوجي و كررت الأمر على مسامعه أكثر من مرة. كم اكره الجهل بمشاعري لكن سيتضح الأمر غدا. نزعت سترتي وتقلدت بتلك السترة ألقيت نظرة على سترة اختي الممزقة ولاحت ابتسامة سخرية جانبية على وجهي لقد حذرتني مرارا أن تتسخ هذه السترة صباح اليوم .

يا لسخرية! يحاولون قتلنا لكن يجب أن تقتل بصحة جيدة، ثم ارتديت حجابي حتى إذا أتت ساعتي القى الله به ، وأغمضت عيني هذه المرة دون ان اكتب ما جرى دون تدوين احداث اليوم سواء في مذكراتي أو اعيد صياغتها لاقيها على مسامع امي. كانت مذكراتي فقط من تسجل كل مشاعري الغاضبة و الحزينة؛ حتى لا يطرق الحزن قلب امي فأعد اليوم كتقرير خالي من الحزن بل به بعض المرح ؛لترى كم اصمد أمام مشاكلي. لكنه سرعان ما ينهار ذلك القناع كلما داعبت يدها رأسي بحنان فتنهمر بعض من دموعي وينهار معها حزني. كانت أمي تكتفي بمداعبة رأسي بكلمات حنونة وصوت يداوي جروح قلبي " انا معك فقط تنفسي بهدوء ولا تقلقي كل الامور ستحل فقط اهدأي و تمتمي بعض الأدعية و لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا". تلك الكلمات تقلدت زي البساطة دائما لكن ذهني ادرك مفعولها السحري للتو. لطالما مللت من تكرارها و غضبت من استجابت دموعي وعقلي لها. الآن دموعي تنهمر بكثرة واردد ادعيتي لكنني لا اجد يد امي تربطي على رأسي ... نعمة ألفتها حتى أعتدت الأمر .

اللهم ردني إليها و لا تتركني اهلك هنا.

الفصل السابع

غفوت بضعت سويعات فتحت ستائر عيني بصعوبة متمنية ان اكون في أحد أحلامي العجيبة التي تذهب هباء بعد رؤيتي للضوء. لطالما تمتع بمخيلة خصبة كما يصفها ابي منافية لعادتي لم أدون أي حرف كما أني اجهل رغبتي في الاستيقاظ في منتصف نومي. دفع تلك الرغبة خوفي من فقدان النقاط. أجهل الوقت لكن ضوء الفجر بدأ بكتابة اول حروفه في صفحة السماء. توضئت بصعوبة واديت فرضي دعوة الله بشدة بكيت وتذللت بين يديه فلا مفرج لقربي سواه، ثم خرجت بحذر و توعد لن اخطو خطوة دون معرفة ما يجري هنا، فتفاجأت بعودة لهجتي و تمنيت عودتي لوطني:

_في اي حجة تأني تأخر معرفتي بوجودي هنا.

تغير صوته في تلك اللهجة قائلا:

_طيب في حاجة اسمها صباح الخير. على العموم زي ما قلت لك هناك مش هقدر اتكلم عن اي حاجة غير لما نوصل. وبسبب عنادك و تهورك روحنا في داهية. اللعبة الغبية ديه محدش بيدخلها ويطلع حي. ولو كنت سكتي وسبتيني اركز كان زمان دلوقتي "ضرغام" مش "آرام" مفيش حد نجى من اللعبة ديه من سنتين! أو كنتي اخدت الدوا يعني لو سم هاخده ليه و مين بيخطف حد يوديه المستقبل.

سألته متغافلة عن استهزاءه السابق :

_لعبة ايه؟ و اسود وغزلان ايه انا مش فاهمة؟

وضح قائلا بينما يتناول طعامه المعلب و معطياً لي واحدة:

الموضوع بدأ من مدة ..للعبة ديه اشتهرت في الحي هنا على سبيل الترفيه بتمر ثلاث مراحل:

اول مرحله مرحلة سباق سيارات اللي يكسبوا بيقى هو تبع فريق "ضرغام" والخاسر يبقى تبع فريق "آرام" وبسبب صريخ حضرتك فقدت تركيزي لأن العربية بتتحرك اصلا بقدرة دماغك. فاخترت اني اكون القائد عشان انت مش هتعرفي تسوقي. واللي عنده اطول مدة تركيز هو اللي بيكسب.

المرحلة الثانية مرحلة "الصيد" وكده انت بقيتي المقاتل فكل ضرغام يحاول اصطياد فريسته بطريقته و حمدا لله نجوتي لولا استهانته بيكي كان قتلك في لحظة. و نختم باللغز الملعون واللي بالمناسبة متحلش من سنتين. آخر مرحلة إذا استطاع ضرغام الامساك بك قبل إيجاده ستوجهه في أخر مرحلة " صراع

العقول" كل مقاتل سيواجه الآخر في معركة عقلية. نوع من انواع القتال.. تقاتل بعقلك خوذة تنقلك إلى عالم افتراضي

تعجبت من تبديل لهجته من الفصحى إلى العامية ثم سألته:

_زي نضارة الVRكده؟

_اه بس بشكل متطور يقنع دماغك إن الالم أو أي شيء تتعرض له هناك كأنه حقيقي فلو مثلا اتصابت هناك فالألم هيبقي في الواقع لكن مثلا لو انكسرت دراعك مش هيتكسر هنا لكن طول الالم هيبقى موجود بنسبة كبيرة كأنه حقيقي بعد نهاية الجولة و الأسوء أنهم بيحاولوا يقتلكوك هناك.

ثم تغيرت نبرته : فللأسف دماغك مش بتتقبل ده بتموت في الواقع.

اصفر وجهي و زاد تنفسي ارتعبت من حديثه و فقدت السيطرة على قدمي فاستند على ذلك الكرسي ورفضت مساعدته متفوهو بعدما حلت عقدت لساني من حديثه و خرجت الاحرف من فمي بصعوبة:

_و هنعمل ايه؟! وانت كنت بتحارب مين علشان كده اتعورت؟

ناولني كوب ماء ثم اردف:

_ كل فريق مكون من ثلاث اشخاص لكن احنا اثنين فاستغل الفريق التاني الفرصة و كان عاوز يقتلني. بس في فرصة أننا نجيب شخص تالت معانا فاهم اكتر. انا مشتركتش من مدة. في بعض القواعد :

ممنوع لفريق الآرام الاستعانة بحد. لكن فريق ضرغام ممكن يتبدل اعضاء الفريق كله. هم اللي بيسيطروا فبيتم الاعلان عن المنافس الجديد لما يتغير. لما الليل بيجي بيقى ده وقت هجوم الفريق كامل. فريق ضرغام بينصب فخاخ كتير على الطريق ممكن شبكة كهربائية لعربيتنا أو لينا فخاخ بهيئة بدائية لكن متطورة واحنا معانا الأسلحة اللي تحمينا منها. ده صاعق كهربائي هيفيدنا لو اتعرضنا لحيوان أما ده فسلاح بيصوب تلقائية علي اي حد من الفريق التاني بيخدروا و يفقده تركيزه و ده القوس اللي لما استخدمتيه مكنش مركز و هو بيرمي عليكي المطرقة. هم معاهم واحد زيه مبرمج علينا. أجهزة تساعدنا على البحث و ديه سماعة بنتواصل بيها مع بعض لو تهنا. شكلهم غريب لأنهم متطورين لدرجة انت مش متعودة عليها زي شكل الموبيل مقارنة بالتليفون الارضي فهماني.

هززت رأسي وحاولت استيعاب تلك الاجهزة الغريبة تلك السماعة تكاد ترى بالعين المجردة و أجهزة شفافة كالزجاج ثم سألته:

_ يعني انت كنت بتلعب وتكسب ففي فرصة أننا نفوز.

_كنت يشترك لما كانت مجرد لعبة للتسلية حل الألغاز و سباقات وكده لكن لما القواعد اتغيرت و الخاسر بقى بيخسر حياته مشتركتش.

_هامان ده اللي غير القواعد؟!

لمحت نبرة غضب بصوته قائلا:

_هامان مكنش صاحب اللعبة؛ اللعبة ديه الراعي بتاعها شركة كبيرة كانت متخصص في الاختراعات بكل انواعها بالتحديد الاختراعات المتخصصة بالمجال الطبي والذكاء الاصطناعي، وهامان ده مجرد نائب لمديرة فرع في الشركة. لكن هو شخص استغلالي و خاين استغل غيابها وفرض سيطرته و غير القواعد. والعنف عند المشتركين كان اكبر داعم له، وطالما استخدمت عربيته يبقى انت مشترك في اللعبة، فالحقنة إللي رفضتي تاخديها كانت روبوتات صغيرة بتعطل اشارة الاشتراك و مصنوعة من مواد بيكسرها الجسم عادي.

_طيب ليه محدش حاول يوقفه؟!

_كل حاجة يتم بشكل قانوني انت ماضي ومستغني عن حياتك واللي بيخسر هنا بيتم استخدام كل اعضائه فالكل كسبان. زي سباقات السيارات على الجبال كده. خطر بس الكل بيشارك فيها.

_والمديرة بتاعته حصلها ايه ؟

اعتلاه الصمت لبضع لحظات ففهمت رفضه للحديث، ثم سألته عن صعوبة حديثي بالعامية هناك بالرغم من سهولته هنا والآن بالتحديد؟!

_انهاردة المفروض بداية المرحلة الثانية واحنا دخلنا بعمق جو الغابة فنقدر نتكلم عامي أو بأي لغة أو لهجة.

_ليه؟

_نركز في الغابة الاول وانا أكدت عليك اكتر من مرة مش هقدر اقول لك اي حاجة. المعلومات اللي قلتها حاليا هتفيدنا مش اكتر لكن معلومة زيادة مش هقدر اتكلم.

بيأس سألته :

_ طيب مين اللي هيساعدنا حاليا ؟

_"نديم" صديقي و مساعدي هنروح له دلوقتي في اول الغابة.

_يعني هتكلم لغة عربية بردو ؟

اوم برأسه فسألته متعجبة قبل أن يغادر طيفه المكان:

_ بس امبارح انا اتكلمت لغة عربية مش لهجة عامية !!

كان قد غادر الغرفة فتحولت لهجته:

_تحبين الفصحى فيتحدث بها لسانك ايَّما سنحت لك الفرصة لذا لم تنتبهي لتغير لهجتك. سأعد السيارة لنذهب وتنبيه اخير ارجوك استمعي لما أقوله .

الفصل الثامن

ترجلنا من السيارة ورأيت طيف نديم يخرج من وراء الأشجار مهندم الزي أسود الشعر أظنه في أواخر العشرينات يمتلك ملامح حادة تخالطها بعض الطيبة. تقدم وألقى تحية على ليل برسمية فرمقه ليل بغضب. يخال لي أنه ضباط أو بمهنة عسكرية، بدأت اكتشف مهنتك يا ذا العيون الليلية. شكره ليل على قدومه وتعريض حياته للخطر فرد عليه قائلا :

"ربطنا رباط الصداقة منذ القدم لنموت معا فذاك وثاق لن يحل إلا بالدماء فكم المدة التي تسمح لي باختيار صديق مثلك؟ اظنها للابد ! الحياة فناء من دونك، كما أنني اثق في نجاحنا.

يناديني بسيدة زمهرير لما الجميع يناديني بذلك الاسم؟! وحول جزع شجرة اجتمعنا. أزهار الأقحوان البيضاء متألقة تحت ضوء الشمس، والأشجار تتمايل مع الريح، الأقحوانة الزرقاء باتت تزين الطريق على استحياء، يطرب بأذني أصوات أمواج وريح لطيفة تداعب قسمات وجهي أظن أن هناك مصدرا للماء. لوحة جميلة رسمتها الطبيعة بتفاصيلها سبحان الخلاق لطالما سحرتني الطبيعة.

انتبهت لحديثهما وبدأ ليل يترقب قدوم لغز المهمة. وبعد مدة ليست بالقصيرة توجه إلينا ريم أبيض جميل دعبه ليل بهدوء ونقل إلي ساعته بيانات المهمة. عرضها علينا على شاشة تطفو في السماء وكانت على شكل ابيات موزونة مزخرف بروازها. ببعض الاشكال الغريبة المتشابكة جاءت كالتالي :

متبوعة برسالة بصوت هامان: أمامكم يوم لإجاد الحل ويسمح بالتحرك في حدود الغابة أو الصحراء فقط لا غير. اتمنى أن تصيروا وجبة لذيذة.

احتلت ملامح الحيرة وجوهنا تلك الاحرف الصغيرة هي اللغز لا عجب أنه لم يُحل. شمرنا عزائمنا و بدأنا في التفكير، احتجت اي شيء يساعدني في البحث فأعطاني ليل ساعة ذكية تعمل ببحث عبر ذبذبات عقلي لا احتاج للكتابة ستفهم على الفور من تفكيري. يبدو أن هذا العصر متقدم لمدى مخيف كأننا بعد مئة عام من عصري من يدري! ندور يمين و يسار في توتر و يختلس نديم النظر لي و تتسع عينه في غير تصديق لاحظت ذلك فامتعض وجهي كأنه يطالع مخلوقا غريبا و ليس بشر!

تفوه نديم بحماس بعد تفكير طال:

_الماسة! الجواب الماسة زرقاء!

تفحصوا الشطر الرابع واول بيت "في قلب الأرض تحت القاع العميق ضوؤها يتلألأ في الظلام السحيق." "*في الليل تلمع بزرقتها كالبريق. ألم يكن هامان من وضع هذا اللغز.

اوم ليل برأسه فتابع نديم :

_بالطبع مهوس مثله بالمجوهرات و المال سيخبئ جوهرة ثمينة بالتأكيد لكن الجواب هو اي الماسة العالم يعج بالكثير. لكننا عرفنا أنها الماسة زرقاء لنبحث عنها.

تفوه ليل و علامات الحيرة تملئ وجهه:

في اي زمان؟! باتت اكتشافات الالماس شائعة هذا الزمان!

انفردت بتفكيري قليلا بالتحديد في اخر شطر كُتب على عجل وبطريقة لا تنتمي لأسلوب تلك الابيات كأنه مفتاح أو حل لهذا اللغز. امتلك ذوق في الشعر جراء قراءتي المتعددة و واسره لفؤادي، تمحصته وأجريت بحث صغيرا ثم تفوهت.

_"جوهرة الأقحوانة الزرقاء "

اعتدال لي في جلستهما يعتليهما الصدمة حتى تفوه ليل بتعجب:

_كيف ؟ تلك الجوهرة مفقودة منذ مدة كبيرة.

أجبته معللة على حديثي:

_تفحص اخر شطر مكتوب كأنه سطر شعري وليس شطرا." و في بيتين يلمع ختم زمانها الأنيق" اي البيتين الاوائل للغز. فلتعد كلماتهما ستجدهم عشرين كلمة اي في العام ٢٠ أو القرن ال٢٠مثلا. قامت تلك الاجهزة بالبحث عن جواهر اكتشفت في القرن العشرين فكانت لا تعد وهنا يأتي دور البيت الثاني "هدية عاشق" قُدمت تلك الجوهرة كهدية لزوجة تاجر إنجليزي في بداية القرن العشرين وبعد ذلك بمدة ليست بالطويلة تناولتها الايد حتى جهل العالم مقرها إلى الآن. الاحتمالات تقول انها سُرقت، أو رفض مالكها الإفصاح عن نفسه. الجوهرة ليست ذات قيمة عالية حاليا لكن الماسة التي قُطعت منها تمتلك قيمة باهظة جدا.

صفق نديم ببطء وقدم لي التحية قائلا:

_ مبدعة دائما يا سيدة زمهرير تذهلينا بعقلك الفذ ذاك.

رفعت حاجبي متعجبة:

_اذهلكم ؟! اشكرك على الإطراء.

تدخل ليل بغضب يختبئ تحت طبقة صوته الرخيم:

أظن أننا عرفنا الجواب لنجدها قبل أن يجدونا تفضلي إلى السيارة اولا، ثم رمق نديم بنظرة حارقة قائلا : السيد نديم سيحاول مساعدتنا في الهروب من فخاخ فريق ضرغام. ثم تابع بسخرية :

_لأن عقله الفذ سيقحمنا في مصائب لنستغله في إقحام الآخرين.

اوم نديم رأسه بتوتر ثم اتجه ليفسح لنا مجال الهروب لنصل إلى مكان أمن اخر لنفكر في مكان الجوهرة.

صعدنا السيارة العجيبة وكدت أسأله عما قاله نديم لكنه بتر سؤالي قائلا بحدة :

_العالم يتغير وانت تتغيرين في المستقبل لن اتفوه بحرف أخر.

****

تركنا بقعتنا الأولى لكننا تفاجأنا بفخ من فريق ضرغام. شبكة كهربائية واسعة افترشت الأرض أوقعت سيارتنا وشلت حركتها و اطنها أصابتني بصاعقة ضعيفة، فترجلنا منها بسرعة بعدما عطلها نديم مؤقتا لنتمكن من فتح الباب و الهرب قبل صعقنا، تلاها هجوم خمسة من الذئاب السوداء كبيري الحجم متوحشي الهيئة يفوق كل منهم طولي كأنهم معدلين جينيا. حاول نديم إبعادهم لكنه كان أضعف من كثرتهم توجه إليه ليل لمساعدته. كالجسد الواحد قاتلا انسجام تام بين حركاتهما وقدرة عالية علي المواجهة والشجاعة سيطرت عليهما، استطاعا تخدير وإبعاد اربعة منهم و حين كان منشغلان بالقتال هجم عليهم الذئب الخامس من الخلف. تمكنت حمدا لله بسرعة من صعقه قبل وصله لهما. بدت رد فعلي قوية وسريعة لدرجة تعجبت منها لا اواجه كلاب شارعنا حينما يتعرضوا طريقي فكيف لي بصعق ذئب مسعورا. فدفعته بعيدا عني و ادركت اني لا اعني حساسية من فراء الحيوانات ربما كان يعتليني الاشمئزاز من فراءها و امراضها؛ لذا اظن انها رغبتي في الحياة والخروج من هنا من دفعتني لذلك ليس خوفي على ذلك المتعجرف. تظاهرت بالثبات ونظرت إلى ليل مشيرة له : تذكر اني أنقذت حياتك.

تفوه ليل بسخرية أثناء توجهه لإزالة شبكة السيارة :

_ أنتِ من اتى بنا إلى هنا، على العموم اشكرك.

تابعنا رحلتنا إلى البقعة الثانية بعدما ربحنا بعض النقاط بتغلبنا على فخهم، ثم ترجلنا من السيارة. كان ليل يعتلي كرسي السائق و الكرس الثاني نقل به الأمتعة بينما كان الكرسي الثالث كان من نصيبي، والجزء الخلفية في السيارة كان من نصيب نديم بعدما قام بإخراج ما به من أمتعة. كانت تلك المحطة مجهزة بالأطعمة، فقد كانت آخر مرة رأيت فيها الطعام عصر ليلة أمس و صباح اليوم، وبالرغم من إطراء نديم الغريب إلا أنه كان يضع عيونه بصعوبة عليَّ أثناء حوارنا، ثم تركني وليل بمفردنا و رحل يتناول طعامه بعيدا. الطعام مجففا ومعلبا لم يكن الافضل لكنه كافي لمواصلة الطريق. أثناء استراحتنا تفوه ليل:

الحل لا يوجد بالغابة فالجميع كانوا يضيعون اليومين في البحث وراء سراب والغابة مليئة بالفخاخ أكثر لاعتقاد كلا الفريقين بوجود حل اللغز بها. ارتشف رشفة من مشروبه الساخن ثم أضاف الغابة تمثل ثلث الصحراء وتلك النسبة ليست عن طريق المصادفة، إن لم تخونني ذاكرتي فتلك الاشجار المتشابكة

حديثة الإضافة بعد فوز فريق "آسر" منذ أخر مرة. اي ما يقارب العامين. ثم عرض خريطة ثلاثية الأبعاد طوقتنا كأننا جزء منها مشيرا :

_انظروا كثافة الاشجار في تلك المنطقة أقل من غيرها و أرضها غير مستوية كالباقي. المشاركون في اللعبة ينتهي دورهم في البحث في الغابة ثم الفناء لما لم يبحث أحد في تلك المنطقة بالتحديد؟ هناك آثار حفر في كل بقعة عدا تلك المناطق الثلاث. كل منطقة تبعد عن الأخرى مسافة نصف الساعة. وسنسير ما يقارب ساعة حتى نصل لمنطقة الحفر دون سيارة.

هززت رأسي متسائلة:

_ ولما لم يبحث اي احد بهما؟

فأجاب نديم: من يشترك بتلك المسابقة يبحث عن الموت لا الحياة؛ لذلك لا يكون همه كيفية الخروج بل كيفية الموت بطريقة لا حياة بعدها. لنضع خطة إذا يا صديقي.

ليل أصر على عدم جاهزيتي لمواجهة تلك الفخاخ فلم يوافق على الانقسام معللا ؛ أنه يعلم ألاعيب هامان و رغبته الشديدة في القضاء عليه، وتلك الخطوة ستأخرنا لبضعة ساعات نحن في حاجتهم لم يتبقى سوى اقل من يوم ونصف. و بعد نقاش طال توصلنا لحل وسط اي يذهب نديم بمفرده و أتوجه مع ليل إلى نقاط البحث المعلومة، لكن ليل اعطى جهاز الصاعق الخاص به لنديم حتى يدافع عن نفسه بسهولة وسرعة وإن انتهى اي منا قبل الموعد المحدد يتوجه سريعا تلقاء النقطة الثانية. وطلب ليل لنديم بنصف من نقاطنا دراجة هوائية حتى يقلل من الوقت المفقود معللا أن تفوقهم على اي فخ اخر سيعوض تلك النقاط.

بينما اعتلى قرص الشمس السماء و بعث حرارته لتعانق برودة الغابة و تهدئ من حدتها. انتقلنا لتنفيذ الخطة. الزمان يسير على عجالة و مع مرور الوقت يزداد الخوف بين حنايا اضلعي . شاركت ليل السيارة و انطلقنا إلى نقاط البحث عسانا نصيب فندفع تلك الغمة بعيدا.

الفصل التاسع

أضواء شاحبة تعكرها زرقة باهتة تضيئ على استحياء ظلام غرفة مرصعة بالأجهزة، تابوت بوضع أفقي يخترقه مجموعة من الأسلاك، و الشاشات من حوله تظهر الإشارات الحيوية لما بداخله: معدل ضربات القلب منتظم و حالته توحي الاستقرار. رائحة الموت تنبعث من الغرفة، و صوت دقات الأجهزة يعلو صوت الصمت، وخارج تلك الغرفة حراسة مشددة يتناوبون على الحراسة ١٠ ضباط بسلاح وبدلة بيضاء واقية غريبة الشكل خوذة من الفولاذ. تلك الغرفة تبدو كزنزانة متطورة لسجين شديد الخطورة تقع في منطقة معزولة ومحاطة بطائرات من كل صوب اكتنفها التوتر و الغموض، وتبعد مسافة ليس بالبعيدة عن ذلك الكهف الذي استضاف ليل وزمهرير في أول رحلتهم . تحدث أحد الحراس بتحفظ ورسمية شديدة منبها على ضرورة ارتداء تلك الخوذة، و من ثم تلى عليهم المرسوم الجديد من الوزارة بإدانة القائد المدعو "ليل سليم " بالتهرب من أداء مهمته المكلفة له وحكم عليه بجلسة تأديبيه مع سحب رخصة سلاحه ورتبته لمدة ستة أشهر وتعرضه لجلسة موجات بعدها" (سيأتي ذكرها لاحقا)

تبادلت الأصوات واختلفت الآراء حول موقف ليل: منهم من أعطاه العذر ومنهم من وصفه بالمتخاذل عن تأدية عمله و أن المجرم يستحق العقاب مهما كان درجة قرابته، ومنهم من شكك في أن حبيس الزنزانة مجرما. لكنهم يعاودون الرجوع في قرارهم أنه اعترف بنفسه، ومنهم من وصفه بالهارب الذي يؤدي بحياته في تلك اللعبة وهروبه اكبر دليل على عجزه لمواجهة ما يخشاه. لكن حديثهم كان يعلوه مرارة وقوع زميلهم في بحر الشبهات و تشويه سمعته المرموقة بينهم، وسحب نديم لمثل تلك المخاطر. لاح طيف القائد يامن من بعيد فأنهى الجميع حديثهم بقدوم رجل واثق الخطوة في الثلاثينات طويل القامة عريض ما بين المنكبين بجبهة يعلوها الغرور، شعر قصير بطريقة عسكرية، و ملامح حادة بعيون خالية من الرحمة والشفقة تقدم بثبات لنهاية الحديث قائلا بصوته الجهور:

انتباه يا سادة هل حيلت مدة الحراسة لساعات تسامر! لن اتقبل الحديث عن أي موضوع أثناء دورية حراستي و بالتحديد إن كان ذاك الموضوع يخص زميلنا السابق! ثم علت نبرته آمرا : مفهوم!

أجابوا جميعا: عُلِم يا سيدي.

تأكد من جودة الحماية، و صحة الاجهزة، و صحة السجينة، ثم خرج إلى مكتبه في نهاية الممر، و أمر أحد الحراس بتجهيز السجين الآخر للحصول على جلسته بينما يستعد في مكتبه.

**********,

زمهرير

جلست اتأمل الطريق والسماء كلما ضاقت بي الحياة بعثت احزاني و حيرتي وجهت وجهي تلقاء السماء أشكو لله وادعوه بقلبي دون أن يتحرك لساني. جمال السماء، والطبيعة، وتلك النسمات الباردة تلطف من نيران ما اعانيه، لكن ما لبثت حتى عادت الاسئلة تعصف برأسي: لما لم ينجح احدا بالفوز؟! تلك الابيات تشرح نفسها صعبة لكنها ليست مستحيلة. هل اعاني من ذكاء يفوقهم ؟ام يحلونه ولا يعيشون حتى يجدون تلك الالماسة؟ لكن غريزة الحياة لدينا اقوى لذا فرغبة من يستطيع حل تلك الحزورة في البقاء ستتغذى وتضعف من رغبته في إنهاء وجوده، أم أنهم يعطلون عقولهم عن العمل ويبحثون في طرق مختلفة حتى يسهل القضاء عليهم! وكيف يتم القتل ؟ هل بتلك الحيوانات الكبيرة؟ اذكر رهبتي من قطة جارنا لاشمئزازي من فراءها لو يراني ابي اصارع ذئبا سيفخر بتفوقي على خوفي، لكن لما تصرفت بتلك السرعة شعرت للحظة اني سأقدم حياتي لذلك المتعارف دون أي يرف لي جفن. نفضت الفكرة الأخيرة من رأسي معللة أن هذه سخافات ليس لذلك المتعارف بالتأكيد كما ذكرت أنها تلك الغريزة في البقاء. اريد الرحيل وهو املي الوحيد، وماذا عن ذلك الشاب نديم اخاله لا يصدق وجودي!.

وصلنا إلى تلك المنطقة كانت مطرزة بالأشجار المتشابكة، وارض غير مستوي مليئة بالارتفاع والانخفاضات، هضبة مكسوة برداء اخضر متناثر عليه بعض أزهار الأقحوان الزرقاء و البيضاء. تعثرت عدة مرات، و تورمت قدمي من السير. حاول ليل تقديم المساعدة لي لكنني رفضت، وبعد ساعة بدأنا الحفر خيلت أننا من سيحفر بيدانا العاريتان لكنه أظهر جهاز صغيرا (آلي على شكل آلة حفر) بدأ في قياس مساحة الأرض والعمق اللازم للحفر بالطبع لم تظهر الالماسة؛ لأنه غير مبرمج للتعرف عليها. تركناه يحفر بينما نساعده في نقل بعض التراب أو الأحجار. سألته متعجبة:

_هل الحياة في المستقبل بهذه السهولة؟ الآلات تصنع كل شيء هكذا! هل قلت فرص العمل و تشرد الكثير من العمال كما يتصور البعض من عصري؟، ام الحياة باتت أكثر رفاهية و انتهى عصر الأمراض و الشقاء؟ اعلم أن مع الترف يأتي الانهيار الأخلاقي والحضاري لكن هل وازن العالم في

المستقبل؟ هل انتهى الفقر؟ هيا أخبرني بالقليل حتى ينتهي الحفر، و لمعلوماتك امتلك قدرة كبيرة على الحديث و لن تستطيع منع اسئلتي إن لم تجيبني و توقف زوبعة عقلي.

زفر ليل مستسلما:

لن استطيع التهرب من حديثك اعلم اسلوبك في الحصول على المعلومات؛ لذا سأخبرك بالقليل غير المؤذي للعالم.

ابتسمت بنصر فأكمل:

_ الأمر يشبه الثورة الصناعية قديما لكنه اسرع و اقوى، يختلف من وجهة نظر الراوي: فمن الناس من يراه ثروة صناعية اخري وفرت وقت، وعمالة، وجهد سنين بات يختصر في عدة أشهر. رأيتِ تلك الثورة أثناء إصابة العالم في عام ٢٠٢٠ بالفيروس التاجي ذاك من كان يظن أن وباء عالميا كذلك سيسيطر عليه بنسبة تفوق ال٩٠٪ خلال عام تقريبا! النصر مبين و عظيم، و بالمثل باتت الأمور المستحيلة ممكنة شبيهة آلة الزمن التي جئت بك بها. لكن هناك قوانين تحد من تلك الاستخدامات تتغير و تزداد صرامة كلما زاد المتضرر.

ثم نفض بعض الاتربة عنه مكملا:

وأما الفقر: فالفقر متواجد ما دام الطمع غريزة بدماء بني البشر، بالطبع هناك فقراء قوانين العالم كأي عصر تسوده المادة، و السلطة، وحب المال لا تعطي الإنسان الحق في العيش كبشري، بل كمصدر للطاقة سواء بعمله، أو نقوده، أو سلطته. وتلك الأمور من مغذيات الفقر الكبرى و داعميه. ما رأيته أثناء قدومنا كانت منطقة ذات درجة رقي عالية.

إجابته البليغة جعلتني افكر في حقيقة ذلك العالم الجاف الذي نحى به ولولا رحمة الله بنا لهلكنا منذ قرون فسألته بفضول مجددا:

_لكن هل تضرر العامل بذلك اي فقد الكثير عملهم بعد تلك الثورة؟

اجاب بثقة تعلو كلماته:

_ عملهم يجوز لكن الرزق من الله فلن يُفقد. مثلما حدث بعد اكتشاف الطابعة، او اي آلة قديمة كانت حديثة الصنع. أخذت تلك الآلات فرص عمل ووفرت الكثير.

سألته هامسة:

_ هل صارت الحياة افضل، وقلت نسبة الأمراض، و زادت نسبة الشفاء؟

_ أخبرتك الأمر نسبي؛ فالبعض يرى على سبيل المثال أن بابتكار الإنسان لمعالج الجلطات قلل من عدد الوفيات لكنه زاد من معاناة الناجين. من يعش قعيدا عاجزا متضررا في جسده. اجل لم يمت لكنه يعاني من إعاقة دائما. هذه نظرة البعض والبعض يرى أنه نسبة كبيرة من الناجين لا يتعرضون لمثل تلك الإعاقات فبالتالي هذا إنجاز للعلم. قياسا على ذلك بالفعل وفر مجهود، ووفر، وقت، و خُلقت فرص جديدة للعمل، لكنه ترك اثر اكبر. بات الجميع يعبد تلك اللعبة المسمى بالذكاء الاصطناعية باتت قدرتهم على التفريق بين العلم، و الفائدة، و بين التفاهة يكاد لا يُرى... يرجعون الفضل للعلم لا لرب العلم بتعليمهم و فضله بالمن عليهم، و اينما تواجد الفراغ تواجد هوان النفس. بات تهلكة النفس بهدف التسلية ودفع الملل شائعا جدا، و زادت نسبة القتل، و الانتحار، و وازنتها حدة القوانين. هناك جزء مضيئ في ذلك العالم يسعى للأفضل و للإصلاح كحالة اي فترة، لا أرى تغير الزمان يعيد نفسه بقبعة مختلفة.

سألته بخفوت ربما راق لي حديثه و افكاره :

_أشعر كأننا في مستقبل بعيد، و انت تحاول اخفاء سر عظيم داخلك يطغى علي عينك كلما تلاقت عيوننا، انت لست من الماضي انت من هذا العصر. أخبرني بالحقيقة هل صنعت شيء مشين إلى هذه الدرجة؟

فضل الصمت والتعليل بنفس السبب "لا يمكنني الحديث هنا"

حاولت تغير مسار الحوار عن العالم و السؤال عن نفسي :

_ماذا عن والداي و اولادنا؟ لن اسألك هل انجبنا ام لا بل هل اعددنا أطفالا لمواجهة ذلك العالم الموحش؟

أنهى حوارنا نهاية الحفر، فافسح ذلك الآلي المجال تقدمنا بحذر كانت الحفرة ضحلة واسعة تسمح لي بالوقوف كاملة بداخلها. تابعنا بترقب و دعوت بقلبي أن يوجد الحجر لكن للأسف عدنا صفر اليدين، وزاد من يأسنا مكالمة نديم بوجود ما وجدنا. أضحى الامل في ذلك المكان المتبقي، الدقائق تمر ومعها فرصتي في النجاة أو بالأحرى الحياة.

****

ذهبنا ثلاثتنا إلى المنطقة الموعودة كانت أشبه بالمنطقة السابقة وصلنا إلى عصر اليوم نؤدي الفروض كأنها محطتنا الآمنة لأخذ بعض الأنفاس الخالية من التوتر. لم أشعر بلذة مناجاة الله و لم أشعر بضعفي كما شعرت هناك. كم كنت حمقاء حينما ضيعت تلك الدقائق الذهبية وانا فارغة العقل، لكن لعلها سنة الابتلاء أن تعيدك إلى الطريق المستقيم. بدأت الأجهزة في الحفر كلاهما حتى نقلل من المدة اللازمة، وأثناء انتظارنا شعرت بحفيف الاشجار يزداد الحركة في المكان غير اعتيادية شاطرني الشعور ليل ونديم، فكانت أهم مهمتها هي حمايتي.

وعلى فجأة منهما ظهر صاحب المطرقة المدببة يدهس الازهار البريئة بقدميه القذرتين يقهقه بنصر وتوعد:

_عثرت عليكم! مهلا الصيد ثمين هذه الليلة السيد ليل ونديم دفعة واحدة. سيلمع جداري بشدة حين اعلق رأسيكما عليه، و لست فقط من سينتصر بل كل من ذاق على يديكما هوان ذلك الجهاز اللعين، ثم ما لبس حتى هجم علينا كليث مفترس يريد تمزيق فريسته. انطلقت معركة بينهم كانا يفوقانه في القوة بتعاونهما، و تلك المطرقة لم تصب اي منهما. تلك المطرقة تعمل بنظام تحديد حينما يتحدد الهدف تصيبه لكن ليل كان يستغل غباء صاحب المطرقة و يجعلها تصيبه عدة مرات حين تخطئ الهدف، حاول إصابتي و قتلي لأنه بخسارة أحد أعضاء الفريق يعتبر الفريق بالكامل منهزما، ثم أكمل المتوحش بغضب حارق بعدما بصق الدماء من فمه جراء اصطدام المطرقة به:

_ لا سأعدهم يأسرونكم و بالفعل مخالفة الأوامر لقائدين مثلكما ستعرضكما على الأقل لجلستين موجات أو أكثر سأشهد عذابكما بنفسي.

تقدم نديم باستهزاء:

_ تخال نفسك ستنال ذلك الشرف؟ احمق! ما رأيك أن تخبرنا بمن يعطيكم تلك الجرعة اللازمة لتحمل ذلك الالم، أم ستستمر في الكذب، فجلسة موجات واحدة بدونه كافية بجعلك تعترف.

تفوه المتوحش بازدراء تجاه ليل:

_اخبرنا الجميع بالفاعل. لكن السيد ليل فقط من يأبى الاعتراف بماهيته.

أجاب ليل بلامبالاة تنافي الجحيم بداخله:

_ سيعاقب الفاعل بالطبع بمجرد فوزنا في تلك المسابقة، وصدقني انتظر جلستك القادمة لتنفيذها بنفسي.

رد عليه نديم بشك:

إن كان سجين الزنزانة المسكين الفاعل سيعاقب، لكن جميعا نعلم أنه برئ ولولا أوامر القيادة يا هذا لأخرجت منك الفاعل بطريقتي، فعذابي اكبر من ذلك الجهاز الضعيف.

رد صاحب المطرقة مقهقها:

_ ثرثرة فارغة لن تخرجا بسلام من قبضة مطرقتي، و من تلك الفتاة مشوهة الملامح. هل هذه اختك يا سيد ليل وتخشى زيادة الفضيحة باشتراكها؟ عائلتك لا تجلب سوى المصائب .

أجاب ليل بغضب:

_كيف تجرئ على ذكر عائلتي او فرد منها!

و لكم صاحب المطرقة بقوة أسقطه أرضا.

حينما بدأ العراك تنحيت جانبا اراقب تلك الأجهزة، وحينما كانت على وشك الانتهاء قمت بإطفائها واكملت الحفر بمعدات بسيطة؛ حتى لا يعلم ذلك المتوحش أننا عثرنا على الماسة. طعنت الأرض عدت طعنات حتى تلطخت ثيابي بالوحل، و عند اخر طعنة تنفست الصعداء وجدتها صلبة تلمع تحت تلك التربة السوداء، ولمعان ساحر يأسر العين احتفظت به في ملابس بصعوبة و ركضت بسرعة تجاه السيارة قبل أن أجعل الأجهزة تعمل كما كانت، وبعد لحظات وصلت السيارة واعلنت الأجهزة نهاية الحفر. ركض الجميع تجاهها امال ليل رأسه تجاه اليمين بيأس حين وجدها فارغة و كاد المتوحش أن يقضي عليه من الخلف حتى أظهرت الحجر فلمعت واعلنت المسابقة بحصولنا علي نقاط تلك المرحلة.

ابتسم نديم بمكر مشمرا ذراعيه : لقد انتهت فترة الدفاع و يحق لنا الهجوم.. لقد انتظرت تلك اللحظة منذ اعترافك لكن سلطتي كانت محدودة آن ذاك.

اشحب وجه صاحب المطرق ولم يعي بهجوم نديم، و ذاد من آلمه اشتراك ليل وجعلة ككيس الرمل تبادلا كلاهما اللكم حتى انهكاه ثم كبل نديم ذلك المتوحش بعدما أسقطه أرضا مغشيا عليه و جرده من سلاحه وادواته و ألقاها في تلك الحفرة، ثم هرولنا بعيدا عن تلك الأرض المخيفة. انطفت سعادتي حينما

علمت أنه ليس الحجر بأكمله إنما ثلثه هكذا أظهر الجهاز الذي ارسلته اللعبة لنا، توجب علينا البحث مجددا، لكن ليل أخذ الخطوة لن نبحث في تلك الغابة مجددا سنتجه إلى الصحراء. المسافة اطول و المساحة شاسعة والطعام قليل لكنه السبيل الوحيد لإجاد ذلك الحجر. اقترح نديم الاستعانة بشخص يحفظ الصحراء عن ظهر قلب، فعارض ليل الفكرة لا يريد لأحد بمعرفة وجودي، لكنه رضخ لها بعدما أخبره نديم بالمختار. يدعي "يامن" فهمت من حوارهما أنه صديقهما، ومخلص حافظ للسر. طلب ليل من نديم بشفرة مورس تشويش الارسال؛ حتى يتسنى له إخباره بالمهمة، و اكتساب بعض الوقت حينما يذهب مسبقا إلى نقطة التقاؤهم.

نديم

لطالما انتظرت تلك اللحظة. لكمت ذلك الأحمق بشدة كأني أنظر في المرآة فأعاقب نفسي، لقد قصرت في حق من تكلف برعايتي طيلة حياتي من نصرني حينما خذلني العالم. وددت لو تدفقت تلك الدماء من جسدي لعلها تخفف من حدة ما أمر به، فلم استطع التفوه قُيدت يداي و حُبس صوتي بين درجات حنجرتي فلم يتعداها، وموجات الندم تابعت عليَّ حتى أغرقت باقي مشاعري، ولما سنحت لي الفرصة بالانتقام من ذلك المتوحش جهلت حقيقة تصرفي أ الكمه غضبا من شهادة الزور التي تسببت في سجن بريء بين طيات ذلك السجن اللعين ام من نفسي لأني لم أبذل قصار جهدي في الدفاع او محاولة تبرئته؟! شهد الجميع ببراعتي في علوم الالكترونيات و قدرتي على اختراق أقوى الأنظمة لكن شهد أيضا على ضعفي امام قوة و ظلم ذلك العالم الكاسر. آثرت أسرتي و حياتي الخاصة خوفا من الطرد، وفقدان عملي إذا حاولت تبرئة ذلك المسجون، لكنني تناسيت ان لولاه بعد الله سبحانه و تعالى لما تواجدت تلك الحياة و امتلكت تلك الصلاحيات. لذا عندما علمت بحاجة ليل لي لم اتردد في القدوم، ولن أتردد في تقديم حياتي لنجدة ذلك البريء قبل أن يتلف السجن ما تبقى من حياته.

زمهرير

ترجلنا من السيارة ورأسي تعج بالأسئلة أهمهم لما نعتني ذلك المتوحش بمشوهة الملامح، و لما شوشا الإشارة للحديث معه، وإن كانا يستطيعان فعل ذلك لما لم يعطلاها منذ مدة ليقللا من فرص إجادنا.

سألت ليل بغضب مخفي بعدما عقدت يداي امام صدري :

_ من يدعو ذلك المتوحش بمشوهة الملامح ؟!

اجاب بصوته الرخيم :

_ نوع من أنواع السخرية لا تكترثين.

رفعت حاجبي بعدم تصديق :

_ حقا!

أجاب بحزم : أجل .

بعد ما أنهينا نصف المسافة قال نديم :

_ فعلتها تلقى الاتصال وسيقابلنا هناك آمل أن يتغلب على الحراسة.

عقب ليل :

_ أخبره أن يأت بجرعة أخرى من عقار المحدد. قاربت الجرعة على الانتهاء.

اوم برأسه منفذا لأؤمره، وبعد مدة ليست بالطويلة تركنا تلك الغابة الفاتنة، وودعت أشجارها، وورودها التي تزهر عقلي من جمال لونها و رائحتها. ليتنا في وقت و عالم أخر لكنتِ من أفضل الأماكن لي. عبرنا تلك البحيرة الصغيرة التي كانت تداعب نسماتها اذناي توقفنا للحظات نعبئ بعض الماء لم يكن الافضل لكنه كان المتاح لقد نفدت مياهنا و الرحلة طويلة فنقاه ليل بمنقي متحرك للماء ، واحتفظت ببضع زهور الأقحوان بجيبي. كذكرى، وانطلقنا صوب الصحراء، وأنا أتمنى انتهاء ذلك الكابوس.

الفصل العاشر

ذُبحت شمس الغروب فحالت السماء لبركة دماء و بدأت السماء في تجميع مجموعة من الغيوم لتضمد جراحها، فتحررت مجموعة من الأضواء؛ لتسقط في نهاية زقاق طويل منزل اعتلاه الفخامة و الثراء بطابقين. دخل يزلزل الأرض بقدمه يصرخ في حراسه، ويقلل من شأنهم ينعتهم بأدنى الاوصاف، و يلعن ليل عدة مرات. نزع سترته الطويلة، ثم ألقاها على كرسيه بغضب جم يدور يميناً ويساراً احمر وجهه غضباً و احمرت يداه دماً جراء تكسيره لكل ما تحويه الغرفة من مقتنيات قابلة للكسر. ابتعد الجميع عن شاخصيه لمنع التعرض للطرد، او القتل، ثم صرخ مجدداً مناديا أحد الحراس. أتى الحارس مهرولًا يتصبب عرقا من التوتر و يخشى النظر في عينه، وحين سأله عن أحدث أخبار اللعبة كان كمن يستعد لتقديم نفسه كقربان لغضبه الحارق، فزاد من اشتعاله أن ليل وفريقه يحدثون تقدم و تزداد نسبه فوزهم. اندفع تجاه الحارس بوجه محتقن بالدماء و ظهرت اوردة رقبته تنبض بشدة، فألقى الحارس أرضاً متفوها بصوت يزلزل الارجاء:

عديم الفائدة! جميعكم لا تستطيعون اقاف ذلك المغرور، وذلك الاحمق ألم يتقاضى كل ثروته الحالية ليمنعه و مع ذلك فشل. يتوجب علىَّ القيام بكل تلك الأشياء التافهة بمفردي. اغرب عن وجهي، و جلب لي ذلك الاحمق الكبير عبد النقود ذاك ليعلمنا بأخر التطورات.

خرج الحارس دون التفوه بحرف هارباً من غضبه، ثم استقر هامان على أحد الأرائك المرصعة بأجهزة تهدئ من غضبه ويتمتم بتوعد:

لن أدعك تنتصر يا ليل لن أسمح لك بأخذ ما كرست عمري لأجله.

هامان لمن لا يعرفه رجل شديد الذكاء، من كان يظن أنه قد يتغير به الحال وينقلب رأس على عقب بين ليلة وضحاها، كان نابغة أصدقائه عمل في أكبر الشركات وارتقى لأعلى المناصب. فتى مسالم يحب الخير يود أن يكون يد المساعدة للجميع، وساهم مع فريق بحثي في تطوير نوع من أنواع مسكنات الآلام لأعراض ما بعد الكيماوي لحالات السرطانات المتعددة، بل يعطى قبل تناول الجرعة دون تعارض مع الجرعة العلاجية لتخفيف آلام تناول ذلك العلاج السمي الفاتك، لكن زاغت نيته، و سيطر الشيطان عليه فبات يقدس الشهرة والمناصب و المال، وتسللت إليه حبات الفتن الواحدة تلو الأخرى حتى أغرقته، كان من ضمن مؤسسي هذا اللعبة، فقد ادخلت سيولة عملاقة لتمويل الشركة والابحاث

العلمية و ذاع صيت عبقريته وولاءه لشركته، ولكنه مع غياب مديرة الشركة ازداد طمعه وحول تلك اللعبة إلى ساحة انتحار درامية، أو ساحة قتال. نتيجة تسريب تلك الجرعة المسكنة و اللعب بتركيبتها باتت من اهم المواد المدمنة في العصر، فتشعل النار في جسدك؛ لتصبح كمكينة على وشك الاحتراق، وجد مدمني تلك الادوية الغابة ساحة مناسبة لتفجير كل طاقتك العدوانية المكبوتة داخلك.

****

داخل تابوت عمودي يقف مكبلا مغمض العين متشنج يكتنفه الأسلاك من كل صوب. يرتدي لاصقات على مختلف أعضاء جسده توفر بعض الغذاء اللازم للحياة خوذة تغطي رأسه محكمة الإغلاق. على الجانب الآخر من ذات الغرفة أجهزة حيوية تظهر حالته فنبضه مرتفع. يداعب "يامن "لوح التحكم العائم في الفراغ بيديه فيزيد من ألم السجين. تلك هي جلسة الموجات. نوع من أنواع التأديب أو التعذيب. ذلك الجهاز شبيه التابوت لا يعمل بالطاقة العادية بل بطاقة البشري بداخله. ينتج عقلنا وجسدنا طاقة كهربية تمر خلال مكثف، فيعمل على مضاعفاتها مرات عدة لإنارة ما يساوي خُمس مدينة صغيرة كاملة الأجهزة الكهربائية، يستخدم في الجلسة الواحدة خمسة سجناء لإنارة المدينة كل جلسة تستمر لمدة أربعة أيام غير متتالية مرتين باليوم أربع ساعات متواصلة ثم راحة أربع ساعات و تعاود الكَرة. ينام السجين مدة كافية لإراحة عقله؛ حتى يتسنى له توفير الطاقة اللازمة. تلك الطريقة اعتمدت عالمياً لما لها أثار نافعة و منجية. إنها لا توفر مصدر طاقة وحسب، بل تخلص السجين من تلك الأفكار العدوانية المؤذية.

أفكارنا عبارة عن موجات و وصلات بين عدة خلايا عصبية احتلت جمجمتنا إذا عطلنا مسارها لن تخرج للنور، وذلك الجهاز يحفز تكوين تلك الأفكار، وبترها و مع التكرار تصبح سرابا، او يصير صاحبها كبطارية لمدى الحياة. إن كانت ذات طابع دموي إجرامي فقد تتخل موجاته لمسحها من ذاكرتك بالكلية، فتخرج نقيا خاليا من أي فكر إجرامي مميت، وتخرج محملًا بأفكار ايجابية نافعة للعالم ولك. لم تكن الموجات صاحبة اليد العليا في تلك العملية بل مقدار ما تحصل عليه من ألم يدفعك بعدم ارتكاب مثل تلك الجرائم البشعة. لا يكتفي الجهاز بذلك بل يتم تصويب موجاته على المساجين الأقل خطورة و بمساعدة البرمجة، وبعض الخدع الذي يراها البعض تحكم في إرادة البشر تُحفر تلك الأفكار الجديدة في عقول المساجين الأقل خطورة دون التعرض لأكثر من جلسة من جلسات الموجات. نظام تطهير من كل الأفكار والافعال المؤدية بالعالم إلى الهلاك. تعددت فوائده كتقليل مدة السجن فمثلا صارت لا تتخطى الخمس سنوات لأكبر الجرائم وأشدها عنفا ودموية، ويخرج السجين نقي مساهما في

نهضة وطنه و نفسه و عائلته . لا يستخدم في كل الحالات، ولا كل المساجين في الحالات الخاصة و الأكثر خطورة و دموية. حاربه البعض لما يحتويه من سلب لإرادة البشر تحت مسمى لديهم الحق في ارتكاب الأخطاء، و لا تمتلك الحكومات الحق في تطهير ذهني_ كما يدعون_ لما يعتلي عقولنا.

لكن ليس كل ما يلمع ذهبا، فاستغلته بعض الأنظمة الديكتاتورية في فرض سيطرتها على شعوبهم بالقوة، و فرض ما تراه صحيحا من منظورها الضيق. كم من نفس ذقت جراء اختلاف في رأي مع نظام دكتاتوري ظالم! وكانت تلك النفس البريئة ترى النور والأفضل لحالها، لكن ظلام الدكتاتورية أعمى و طمس تلك النويات الامعة؛ لذا أخذ وطننا راية البداية و تجمع العالم لوضع قوانين تحد من استخدام ذلك الجهاز. هناك بعض التجاوزات، لكن الغالب العام هو عموم التغير والنهوض بشأن العالم أجمع. لم يكن استخدام الجهاز بداية مقدرا لهذا الاستخدام. كان ذلك الجهاز بهدف زيادة سرعة تدفق العلم والتعلم، فكم من عالم ونابغة وافته المنية قبل نقل علمه!. كم من علم تشوه ولم يصل كاملًا إلي المتلقي! ؛لذا أُستخدم في البرامج التعليمية، فيرتدي المتعلم تلك الشريحة داخل خوذة ضخمة يرتديها المتعلم داخل صفه او جامعته، ثم تطورت إلى شريحة أصغر توجد في قبعة أو مشبك شعر. تعطى للطفل ليزيد من سرعة استيعابه لمعلمه و لأصعب المجالات. صارت العقول من تتعامل لا يوجد وسيط بينهما. أحرزت تقدما ممتازاً على مستوى التعليم، و نهضت أمم بفضلها. تلك العملية تتم تحت نظام مبرمج ودقيق يسمح بعدد معين من المعلومات بالمرور لا يمكن الخلط بين ما يحمله المعلم من أفكار، ومشاعر تجاه العالم و تجاه نفسه، و أسرار أسرته لتمرر بين الجميع. يتم برمجة مرور تلك المعلومات المجدولة سابقًا و يحذف أي معلومة أخري. تناقل الاختراع و تطور حتى وصل لحالته في السجون. من يقومون بتلك المهمة مبرمجون يتلقون تدريباً عسكرياً مكثفًا ويترقون في تلك المناصب. يتعرضون لأشد أنواع العقاب إذا تم إدخال معلومات أي أوامر غير السليم وضعها، والحراس من خلف الزنزانة يرتدون بدلة واقية لتلك الموجات. تبنى السجون على مساحات ضيقة، الأجهزة تستنزف طاقة السجين لا طاقة له بالجدال، أو العراك. أنه كجثة هامدة حتى يُعاد تأديبه. السجناء هناك ليسوا كأي سجناء، بل هم أصحاب الجرائم التي تسلك طريق الهلاك رؤساء التنظيمات الكبرى كالمافيا وغيرهم، لكن أصحاب الجرائم الصغرى يوضعون في سجون اعتيادية. يتغير ذلك المسمى للمعالجة في حالة الأمراض النفسية فبات ذلك الجهاز الحل الامثل لمثل تلك الأمراض وباتت رؤية شعاع ضوء لأصحاب الأمراض الميؤوسة من علاجها وارد، فتعافى الكثير وعادوا لحياتهم يرتشفون الأمان والسلامة العقلية بهدوء، كما

ساهم في اكتشاف علاجات لأمراض عدة عضوية كذلك، وأما عن دوره في ابتكار عدة أجهزة كانت مستحيلة الصنع اصبح يرى الشمس كألة الزمن و طابعة الأفكار. طابعة الأفكار جهاز يحاكي الطابعات ثلاثية الابعاد لكنه لا يطبع مجسمات بل أفكار. حينما تراودك فكرة مشروعة ناقصة، او نظرية لا تستطيع تطبيقها و رؤيتها على ارض الواقع لأنها مشوشة و حبيسة جمجمتك، لذا يوفر لك الجهاز تخيلها بذبذبات عقلك بل بمساعدة مجموعة عقول أخرى غيرك، جهاز تم صنعه بالمستقبل يرتب الأفكار المبعثرة لدى مجموعة من العلماء أو المفكرين و تطبع في الواقع كمثال مبدأي يبدأ الباحثين بتطويره، و مع تكرار الأمر تتضح الفكرة، فيسهل طباعة الجهاز، او الاختراع بمجرد تواجده في العقل بتوفير جهد و وقت دقة أكثر. كما بات موضوعا مشيقا لكتاب الخيال العلمي أضحى ممكنا اطلقوا عليه "The Magnificent Pharaoh" اي "فرعون العظيم"؛ لأنه كان وليد دراسة مصرية مكثفة سيأتي ذكرها فيما بعد.

انتهى يامن من كتابة التقرير متفوها:

_ الحالة مستقرة مقدار الألم متوسط. هنيئًا لك هذه أخر جلسة اتمنى أن تعود مطوراً لا سجينا فلتتمتع بحريتك.

أطفئ الجهاز ثم قدم تحيته العسكرية، و بسيارته الفارهة و ثيابه التي تظهر مدى ثراءه انطلق صوب منزله، يحب عمله بشدة لا لفضله ودوره، بل لراتبه ؛ يحصل على أعلى راتب في حيه، قدس الحرية كما يدعي فلا يسعى لتكوين أسرة تكمل نسله بعد موته، و ترك والداه لينعزل بمفرده، يقضي معظم وقته برفقة زميلاه نديم وليل. ملَّ من تكرار الأمر على مسمعه بأخذ خطوة جادة في حياته مثلما فعل كل منهما، لكنه يعلل بالسبب نفسه "دعاني استمتع بوقتي". زين له الشيطان حياة الطرف الخالية من المسئولية، و المزدحمة بالسهر حتى الفجر دون أداءه تقودك غرائزك بين طيات الشهوات دون إدراك أنك تحت عرش تلك القاعدة" أيحسب الانسان أن يترك سدى". متغافلا عن مهمته الأساسية لتواجده على الأرض، و نسيان تلك الأمانة –التي ثقلت على الجبال و الاراضين و السماوات من هولها– ان تلك هي الحياة. جعل الشيطان يستبيح حياته و تصبح يده العليا المتحكمة بمجرياتها؛ لذ وثاق الصداقة بينه بين صديقاه جعلهما لا يفقدان الامل بتغيره و محاولة عودته لطريق الرشاد و صحوه من غفلته ؛ رحمة بقلبه الذى أُنهك ببعده عن مالك القلوب. اشترك في تلك اللعبة قبل إفسادها عدة مرات ومرة بعد أن

تحولت لساحة حرب. نمى حب الصحراء و السفاري وتربع على عرش قلبه، فيحفظ الصحراء عن ظهر قلب وهذا كان سبب انتصاره منذ أخر مرة في اشتراكه.

تلقى اتصالاً مشفرا أدرك ماهيته قبل فتحه أعاد فك شفرة المحادثة و فهم مقصد نديم منها. اتجه لغرفته وأعد حقيبة صغيرة لرحلته، لكنه اختلى ببعض الدقائق؛ لمحاولة توفير ذلك العقار الذي طلبه ليل. ثم انطلق صوب الصحراء على عجل بعدما تأكد بعدم تتبعه. ينظر للسماء بعيون تتمنى مغامرة جديدة تطفئ لهيب الفراغ بداخله. بالرغم من ثروته و طرفه إلا انه مازال يشعر بهوان و ضعف كلما أختلى بنفسه

****

الدقائق تمر كساعات نقطع الطريق بسرعة لكن الملل يسيطر علينا. هنيئا لنديم على نومه بينما كان ليل يقود الطريق و خوفي تغلب على رغبتي في النوم. يجلس صامتًا يتفحص الطريق بحذر. أراه يصارع ما بداخله من فوضى لا اتيقن من حقيقة شعوري ذاك، لكن تلك الاضطرابات تراودني كلما خلى الطريق ولم يبقى سواه. ألقي نظري بين الطريق وبينه؛ لعلي أحفظ هيئته حين أعود لعصري ستكون تلك الرحلة أرضًا خصبة لمذكراتي. افتقد تلك الوريقات الصغيرة، وافتقد أهلي و إخوتي افتقد عالمي. كيف استطعت الصمت طيلة تلك المدة؟! أشعر بعيونه تراقبني بين الفنية والأخرى. سألته بنفاذ صبر:

_ هل وصلنا؟

أجاب بنبرته الثابتة : لا كدنا نصل.

_ كيف تقول سنبحث في الصحراء تلك المساحة الشاسعة كيف و أين سنبحث ؟ لا يوجد دليل في تلك الأبيات على مكان وجود الأحجار بها.

_حينما نصل سترسل اللعبة لغز أخر لنا يحوي ذلك المكان.

_لما لا يكون فخًا لقتلنا؟!

ابتسم ابتسامة جانبية بمرارة:

_ نعتلي صدارة المشاهدة الآن لن يقتلونا، نجلب لهم أرباح تفوق الكثير من آخر مرة

اتسعت عيوني قائلة:

_ يشاهدوننا! أين تلك الكاميرات المخبأة ؟

_في السماء حولنا وكانت على الأشجار لذلك حينما رفعتي جزء الماسة الذي وجدناه سجلته الكاميرات و حصلنا على تلك النقاط .

_هل تتم مراقبتنا حالياً ؟

_لا السيارة آمنة.

_ أخبرني هل سيعلم ذلك الجديد أنني من الماضي ؟

_يامن صديق وفي لنا و نديم موفق في اختياره لتلك المهمة .

تفوهت بخوف مخبأ بين أحرف كلماته :

_ ماذا إن لم نجد باقي الألماسة ؟ لا اريد الفناء هنا.

_ آمل أن نجده في اقرب وقت تبقى يومين منهما ٤٨ساعة من النوم. فليطمئن قلبك لن يضيعنا الله مثلما يفعل كل مرة.

سألته مجددا: لما يعرفك الجميع بينما يجهلون هويتي؟

أجاب باستسلام بينما يغمض عيونه:

_ الرحلة طويلة ولن تصمتي ... حسنا لذلك العقار الذي أعطيتك إياه في السيارة أول مرة يغير قليلًا من ملامحك.

بغضب أحاول جمحه:

_لم أتغير أنا أرى أني ما زلت بنفس الهيئة!

و بنبرته الرخيمة اكمل:

_لا تلاحظينه أنتِ بل يلاحظه من هم ليسوا من دمك.

رفعت حاجبي متسائلة: كيف؟!كبديل لفحص الDNA إذن ؟

__تقنية من المستقبل لن أخبرك بها .

بدا الغضب على وجهي و بتهكم حاولت تغير مسار الحوار:

_ كيف سنقضي الليلة هل سنسكن في خيمة؟

_ حينما نصل سنعرف الطريقة صمت مدة ثم تنهد و قال بصوت يتسلل الخضوع إليه :أريد إخبارك بشيء... اعتذر على نبرة صوتي الحادة والمرتفعة لا أريد تعرض حياتك للخطر لذا أغضب طيلة الوقت.

كانت تلك مرته الاولى الذي يبادر بها الحديث. كلماته غريبة كمن يحمل بين حناياه شعوراً بالندم كأنه يعتذر على شيء من الماضي لا على يومنا هذا. تقبلت اعتذاره ثم أكملت ممازحة له:

ليتك تزيد من سرعتك صوت زميلك ذاك يقلق الطيور في السماء.

أنارت الابتسامة وجهه ثم أضاف : دائماً يسبب لي اصطحابك الازعاج يا نديم.

ثم رفع نبرته صارخاً : نديم استيقظ يا هذا!

انتفض نديم يقول : ماذا هناك ؟! هل تم القضاء علينا! اكره رائحة صاحب الطرقة ذاك.

لم استطع تمالك ضحكتي هنا و شعرت بعلامات الامتعاض تعلو وجه ليل وبالتحديد حينما تابع نديم : اعتذر يا سيدة زمهرير لم أنم منذ يومين و صغيري لا يتوقف عن البكاء.

أردف ليل معتدلا في جلسته ليواجه نديم:

_ فلتكمل حديثك يبدو أنني اخطأت في اصطحاب من لا يملك زمام لسانه معي.

سألته بفضول: هل لديك اطفال ؟

قال ليل : ليتكِ صمتِ لن ينتهي من حديثه حتى نصل.

هنا تابع نديم قائلًا:

_ بمجرد مرورك عبر تلك الفجوة الزمانية ستمر تلك الأحداث كحلم عابر لن تتذكري شيء لذا دعيني أحدثك بالقليل عن أطفالي حتى أطفئ من شوقي لهما.

أغمض ليل عيونه بيأس مرجعا رأسه للوراء بينما استمعت لحديث نديم فأردف نديم مبتسم الثغر:

_امتلك طفلين ولد وبنت احتلا قلبي و عقلي: خديجة أخذت من العمر سبع سنوات، و سيف صاحب الصوت الجهور ما زال لم يتخطى عامه الأول؛ لذا يصرخ طيلة الليل و النهار لكن ابتسامته تأسر عقلي، و تنسيني تلك الصرخات. لم تكن تلك كلماتي بل كلمات زوجتي كلما اشتد عليها الإجهاد محاولة من عقلها، و مزيج هرموناتها، و فطرة الامومة لديها لتتخطى تلك الصرخات. بينما أنا أعشق تلك الفتاة المدللة تمتلك موهبة كالسحر في إدخال السرور لفؤادي، و تسيطر على جوارحي إذا نظرت لي بنظرتها البريئة حينما تطلب مني شيء، لا أدري كيف لشخص مثلي امتلك قدرة كبيرة على المراوغة و اواجه المجرمين معظم الوقت....

قاطعه ليل بحزم :

_نديم الحديث عن أطفالك وحسب!

ابتلع ريقه مفرقا لشعره:

_ أقصد أن عملي يعتمد على قدرتي في المفاوضة و تستطيع تلك الصغيرة سلب كل ما تريده مني بكامل إرادتي. كم أتمنى انتهاء تلك المهمة حتى أعود و اداعبهما، لم أرهما منذ عدة أسابيع. خديجة تلك الصغيرة المشاغبة اشتقت لسماع صوتها، تشكل عصابة صغيرة مع نسمة و تصيب أذني بالطنين كلما عادت. لكنها تكون أجمل نصف ساعة في يومي بالطبع لأني اغرق في نوم عميق بعد نصف ساعة من حوارنا، لكن في أيام اجازتي لا أمل من حديثها او صديقاتها الخيالية.

سألته : من نسمة ؟

_فتاة في مثل عمرها.

تدخل ليل مضيف: تصغرها بعام.

_أجل تصغرها بعام.

_ إذا لما عرضت حياتك للخطر معنا؟!

_ سيدة زمهرير ما يجمعني بليل و عائلته يستحق تلك التضحية. بالتحديد هذه المهمة.

تعجبت بتحدثهم بأسلوب الشفرات، و استمراره بمناداتي بسيدة زمهرير لكنني اكتفيت بقول:

_ اتمنى لنا التوفيق واتمنى لك رؤية عائلتك مجدداً.

توقفنا في منطقتنا المحددة بسلام دون أي مباغتة من الفريق الآخر. وترجلنا من السيارة. قمنا بنصب خيمة معاً. لا استطيع القول أني قدمت يد المساعدة إلا في قليل من الاشياء التي لا تذكر. كانت شبه مُعدة لاستقبالنا. حفرا بجانبها وحاولا تمويهها. كانت بلون الرمال و بها علبة طعام لكل منا، ما كانت تلك العلبة لتسد رمقي لكنها أفضل من لا شيء.

بعد مدة أتى وفد لاستقبالنا و مساعدتنا بالذهاب الى الواحة. فتلك هي محطة اللغز الثاني لكن غير مسموح بتوافد المتسابقين مباشرة دون قدوم الوفد و انتظار إذن كبير الواحة.

الفصل الحادي عشر

بتابع الأخبار خلف عويناته بترقب قسمات وجهه العابس تشي أنه في العقد السادس من عمره شعر كثيف، ولحية مهندمة، بجسد به مسحة رياضية تقاوم طغيان الزمان، يتأرجح على كرسيه للأمام و الخلف. السيد سليم من علماء الآثار المرموقين في المجتمع كان يُلقب بحواس الصعيد في صغره، بينما مع مرور الوقت بات اسمه قيمة تضاف أينما وطأة قدمه. بجانبه ابنته فتاة في العشرين تقوس حاجبيها على عيون بندقية اللون، تشاطر والدها حدة الذكاء، تعشق القراءة كوالديها، وتدرس بالجامعة. يتابعان مجريات على شاشة تلفازهم الكبيرة بتركيز، وبدا الخوف يسيطر على ملامح وجهيهما حالما أنهى القائل نقل خبر تقدم فريق ليل في الصحراء أغلقه سليم بغضب يشوبه القلق قائلًا بغضب:

_ أيه اللي ودا ليل هناك تاني مش كانت صفحة و اتقفلت.

حاولت رفيف تهدئته برفق:

_ أهدى يا بابا علشان صحتك ليل واعي هو بيعمل ايه.

أشار تجاه الشاشة بغضب:

_ إنت شوفتي مين معاه ؟

هزت رأسها نافية:

_ لا كان وشها مش واضح.

اعتدل في جلسته مكملا بغضب:

_ علشان نديم مشوش الكاميرات و مادام كده يبقى اكيد في مصيبة. شوفي شفق يا بنتي يارب تبقى بخير.

ربطت علي كتفه برفق قائلة:

_طيب أهدى أنت بس وكل حاجه هتبقى كويسة.

أخذ يقلب كفيه متفوها:

_ يعني آسر و كنا هنفقده بسبب اللعبة ديه و حالياً محدش يعرف عنه حاجة و لولا متابعتي مع كبير الواحة كان ضاع و ادي ليل العاقل اللي فيكم.

_ليل واعي يا بابا و اكيد عارف هو بيعمل ايه .

_ في شخص عاقل ينط جو النار بنفسه بصي يا "رفيف" انا جبت اخري من العيال ديه هاتيلي الأدوية بتاعتي يعني يا رب هلاقيها منين ولا منين. لكنه عاد للين صوته يحاول تهدئة نفسه ممسكا كف ابنته الصغيرة:

_أنا عارف إني تعبتك الفترة ديه يا رفيف، وزودت عليكي تعبي فوق تعب مذاكرتك و دراستك.. شيلتي مسئولية البيت و اخواتك الطايشين و اخرهم تعبي وانت صغيرة يا حبيبتي، أنا مش قصدي اتعصب عليكي لكن انا بتعصب على الرجلين اللي لسة فاكرين نفسهم عيال.

ناولته ادويته مبتسمة ثم ربطت على يده برفق متابعة:

_ انا كويسة جدا يا بابا اهم حاجة صحتك دلوقتي .

ثم مازحته: و لما الوادين الصيع دول يجوا أنا عارفة هتصرف معاهم ازاي.

اتخذت بسمة تسلك طريقها خلال قسمات وجهه ثم تابعت رفيف:

_ انا عارفة ايه اللي هيخليك تهدى... يا نسمة!

أتت مهرولة طفلة بيضاوية الوجه بملامح صغيرة وبراءة تعتلي وجهها. تكاد تبلغ السادسة تقفز يمينا ويسار ثم احتضنت جدها تداعب لحيته وشعره الطويل مدخلة السرور على قلبه ثم تحدثت بحروف متلعثمة قائلة:

حسنًا يا جدي ماذا يجري هنا لا استطيع اللعب بهدوء.

انفرجت أسارير وجه قائلًا:

_ حتى أنتِ بقيتي بتتكلمي فصحى يا صغيرة.

أومأت برأسها قائلة: أجل علشان بدأت في تعلم اللغة العربية من خمس أيام مش فاكره يا جدو بس أنا لازم اتكلم صح بدل ما ماما تحرمني من الألعاب بتاعتي.

_ أنتِ بتتكلمي لغة تانية! ده فصحى ده ولا عامي؟! لكن على العموم شاطرة إنك بتتعلمي ودربي لسانك.

تدخلت رفيف قائلة بحماس:

_ مين بيحب يسمع قصة من قصص جدو دلوقتي.

صرخت نسمة بحماس:

أنا.. فلتروي لي قصة صغيرة يا جدي ارجوك.

وافق سليم باستسلام أمام إصرار حفيدته وبنته وانطلق صوب مكتبه يحمل تلك الصغيرة على كتفه.

تدرك رفيف مقدار الحب الذي يكنه والدها لتلك الصغيرة قادرة على إلهائه وإدخال السرور على قلبه دون استئذان، حتى يتسنى لها معرفة ما يجري مع ليل، ولما اشترك في تلك المهزلة.

طفق سليم يداعب حفيدته؛ عساه يتغلب عن تلك النيران التي تحيط بحنايا صدره. تأمل مكتبته الضخمة كانت تحوي بين طياتها كتب في مختلف المجالات طغى عليها علم الآثار المصرية القديمة، و كتب طبية و زينتها بعض كتب الادب و الشعر. مرر أنامله عليها بحذر كأنها قطعة من روحه، أما نسمة فكانت مغرمة بألوانها و ترتيبها وخباياها تلك الطفلة كانت تحلم بإنزال تلك الكتب من رونقها وإفسادها مثلما تفعل بمكتبة والدها. رأي عيون حفيدته تلمع فأجلسها أمامه يداعب وجنتيها:

_لن ادعك تفسدينها.

أجابت ببراءة : أريد فقط إعادة ترتيبها.

إجابة بلمسة حزن تلامس انامله الكتب بحذر:

_ تلك آخر لمسات جدتك...لطالما أحبت ترتيب تلك الكتب كأنها تعتني بأحد أطفالها. طالما كان ذلك المنزل يسير كما تريد بترتيبها الخاص.

قبلت الصغيرة جبهة جدها قائلة:

_ تيتة هترجع يا جدو مش هي مسافرة يبقى متزعلش كده. و مش عاوزة أتكلم فصحى كفاية البيت.

_طيب مش أنت إللي مردتيش تروحي الواحة.

_واسيب خديجة صحبتي الوحيدة هنا لوحدها.

_خديجة بتروح مع والدها يومين في الأسبوع لكن أنت مش عاوزة تروحي خالص.

_يا جدو أنا مبشوفش بابا غير الصبح و هو ماشي و لو روحت مش هشوفه خالص. طيب ممكن طلب!؟ ارجوك يا جدو ارجوك!

ازاح سليم نظارته للأمام قائلا:

_انا عارف شغل العيال الصغيرة و العيون ديه وراها طلب... إيه يا نسمة هانم.

ابتسمت الصغيرة تشبك اصابعها :

_ممكن تخلي ماما تسيبني ألعب مع خديجة شوية. وأنا أوعدك مش همسك أي حاجة في المكتبة حتى اللعبة الجميلة اللي هناك ديه اللي فيها تلج. و هروح الواحة الجمعة الجاية.

_ وعد؟

اشارت لقلبها قائلة: اقسم لك!

****

كانت الواحة محطتنا واحة هادئة أشبه بواحات عصري نفس الهيئة ، معدومة التكنولوجيا إلا جزء صغير، رائحة الفطائر تعبق بأروقة الواحة، رائحة العطف و الدفء بدأت بالتغلغل بين أعماقي. اخذت شهيقا قويا كغريق أُنقذ للتو. كل ذرة من كياني كانت تتسابق لتنهل من ذرات الهواء تلك، أشعر أنها مركز للابتعاد عن ذوات الشاشات الزرقاء، الرمال تعبث بالمكان و تتوج بحيرة صغيرة في المنتصف، وأشعة ضوء القمر تتراقص عليها فرحة، و شاركها أطفال القرية بسمتها. ينبت حولها مجموعة شجيرات تعلق احد الأطفال يحاول أخذ احدى ثمراتها اللذيذة و سط تشجيع كبير من الصبية له، بها مقهى صغير في أبهى حلة له يتوافد عليه أهلها كل ليلة ليتسامرن. استقبل أهل الواحة ليل بترحاب كبير يشوبه بعض الحزن قال كبيرهم _رجل يُظهر شيب لحيته كبر سنه_ ذكرني" بالحاج" في الصيدلية لما به من وقار و هيبة، ويرتدي زيًا تقليديًا كمن ارتدوه بعصري بنظرة عتاب لليل ونديم تفوه بحنان:

_ حللتم أهلًا.. غير أنني كنت اتمنى استقبالكم كزوار و ليس في تلك المهزلة.

اتجه إليه ليل بحرارة يصافحه ثم قبل يداه مبتسما:

_نريد مكانًا أمنًا حتي الصباح نستقر به إذا سمحت.

ربط على يده مبادلا له الابتسامة :

_بالطبع يا ولدي الواحة ترحب بكم. لن يصلوا لك هنا أنت بأمان لتنم قرير العين. ثم أشار لي مكملًا : و يشمل ضيوفك ايضا. و أضاف مشيرا لنديم و مداعبا له: أما انت فلا مكان لك. سنوفر لك تختا مريحا بين الخيل.

تقدم نديم يحيه و يقبل يده و رأسه متفوها:

_ أعلم أن قلبك الكبير لن يسمح لي بالنوم على الرمال. زوجتي رقيقة لكن اتساخ ملابسي سيوفر لي إقامة دائمة بينكم.

تغللت الابتسامة بين اسارير وجهه فقال:

_ منذ متى لم نلمح طيفك. اشتقنا لك يا بني، ثم احتضنه بشدة.

و بعدما اطلق نديم من حضنه اخرج هاتفا صغيرا من جيبه و داعبت يده شاشته ثم انهى ، فأشار لنا بالدخول مؤكد على جاهزية الأماكن، و بمجرد أن وطأنا الواحة حتى صرخ احد الأطفال مهللا لقدومنا فتركوا لعبهم و هرولوا جميعا يعلوهم السرور والبهجة، و شاركهم معظم اهل الواحة تلك المشاعر، و قدموا لاستقبالنا. حيا نديم من في الواحة بترحاب شديد، واتضح أنهم عائلته لأبيه ، و بدأوا بالقفز و الصعود على كتفه حتى اسقطوه ارضا، فبدا كمن يغرقه سيل من الأطفال مختلفي الاعمار و سط بهجة تعلوا وجوه رجال و نساء الواحة، فرحوا بقدوم ليل، لكنهم لم يغرقوه مثلما فعلوا بنديم. يتسابقون بالحديث مع ليل : أخبره أولهم أنه أنهى دراسة اول فصول تعلم العربية، ثم تابع الثاني أنه سيشارك في سباقات الخيل في المرة القادمة، ثم أضاف أخر أنه سيتعلم لغة أخرى ليسبق زميله فور انتهائه من دراسة العربية، و تواتروا بإخبارهم بأخر ما فعلوه منذ آخر زيارة له. أخبره أحد الأولاد الأكبر سنا عن من سبقوه انه سيرحل للمدينة هذا الشهر ليكمل دراسته. بدا نديم أكثر انسجاماً و فرحاً كلما رأي فتاة أشار لي أنها تشبه خديجة أو نسمة، و استمر الوضع، حتى وصلنا إلى مدخل المقهى؛ لنستريح من عناء الطريق، و هجوم الأطفال المتلاحق، و تتابع الأهالي بإلقاء التحية علينا. كان الاطفال لم يتجاوزوا السبع

سنوات ثم توافد أطفال أكبر محملين بالطعام و الشراب، وعندما هدأ الحماس بدوا متوجسين خيفة كلما رأوني؛ لذلك أخرجت بعضاً من زهور الأقحوان من جيبي كقربان محبة بيننا، فأخذتها أحدى الفتيات الصغيرات و تبادلنا الابتسامة. مرت ساعة أو أكثر و الابتسامة لا تفارق وجهي شعور بالأمان والطمأنينة بينهم يدفئ ما بين حناياي. سألت ليل عن الكاميرات هنا فأوضح أنه غير مسموح لهم بوضعها احتراماً لتلك الواحة ولولا امتلاك هامان وشركاؤه لمعظم أرضها لما استطاع أن يضمها لتلك اللعبة السخيفة. أشار لي بحرية التنقل هنا، فاندفعت و السعادة تملئ صدري، فاختلطت بنساء الواحة اللاتي كن علي درجة عالية من اللطف والمحبة و الثقافة ايضا. قدمت إحداهن لي ثوباً، لكن ليل أوضح أنه غير مسموح لي بتبديل ذلك الزي، فبدأت بالانسياب بين تلك الأجواء أحاول جاهدة وضع خوفي بين طيات النسيان ولو لمدة صغيرة.

ليل

استدعى كبير الواحة ليل فتقدم لغرفته بهدوء، و جلس بين يده، فأعطاه كوب قهوة قائلًا:

_تبدو محملًا بالهموم أكثر من ذي قبل يا بني.

تناول منه الكوب متفوها :

_من منا ليس محملًا، فقط دثرني بين دعائك ليلًا.

تفوه مستفهما :

_هل ضيفتك من تسبب لك ذلك الهم الزائد؟

راوغ سؤله قائلا:

_ هل أتى آسر إلى هنا منذ أخر مرة ؟

ضم العجوز شفتيه بيأس :

_ فهمت مراوغتك ولن تتفوه بحرف لا أحد يستطيع تحرير تلك الكلمات من بين اسوار فؤادك غيرها، ثم ربط على كتفه قائلا: ستعود والدتك لا تقلق جميعا نثق بذلك .

هز رأسه بعيون بها لمحة حزن: كم أتمنى.!

ثم عاد لحواره قائلا: ماذا عن آسر؟!

جلس العجوز على كرسيه يقول:

_ مازال ذلك الشرخ بينكما؟

تمعض ملامحه :

_لا أصنع شروخا أحاول إصلاحه لكنه في كل مرة يفضل صنع ما انهاه عنه.

و اوم برأسه ينظر لمشروبه: هو هنا أعلم أنه رفض الخروج لمقابلتي.

نظر العجوز لعينه :

_ هل فكرت بمكانتك بالنسبة له؟

حاول مسك زمام غضبه :

_انا أخوه الأكبر تهمني مصلحته ذلك المتهور يخالني ندا له.

ثم نظر إلى الابخرة المتصاعدة متنهدا:

_ بينما هو كأبن لي!

ابتسم العجوز بطيبة قائلا :

_ بالطبع أخوه لست والده. حاول التصرف من ذلك المنظور إنه لا يتوجب عليه الاستماع إلي كل أوامرك. حاول السيطرة على تهوره و إقناعه ان رأيه سائد بينما هو ما تريده انت مثلما تفعل مع نسمة.

رد ليل باندفاع:

_أنا أفوقه خبرة !

فتابع العجوز محافظا على بسمته الدافئة:

_لما لا تتركه يتحمل نتيجة أخطاءه بمفرده لن يفقد حياته جراء بعض الأخطاء.

قبض ليل على يده بقوة مكملا:

_ كاد يودي بحياته منذ أقل من عامين تهوراً باشتراكه في تلك اللعبة، ولا أدري ماذا صنع ليربح لكنه...

_ لكنه ربح يا بني... أخوك كاد أن يبلغ نصف العشرين راشد و واعي.

زفر ليل بحنق :

_ لذا يتوجب عليه الانتباه لحياته لكنه مازال يتصرف كالمراهق.

_هل جربت ترك الزمام له و الوثوق به ؟

ابتسم ليل ابتسامة سخرية مضيفا:

_أثق به ! لا استطيع الوثوق به ليوصلني بسيارته.

أنهى كبير الواحة حديثه قائلًا:

_لسنا هنا للنقاش حول آسر لترتاح قليلا أو تتحدث مع صديقك شلبي. أرسلت بعض الرجال لإحضاره، لكنه أبى. جولة صغيرة تشكو بها آلامك له، و تنطلق لتداعب تلك الرياح الباردة وجهك عساها تلطف من ذلك الجحيم المحتل فؤادك.

رضخ ليل لفكرته ثم ودعه و انطلق إلى الاسطبل.

نظر إلى السماء فوجد الليل القى عليها عباءته المرصعة بالنجوم. عينه تكشف الاسرار عن الضجة المحتلة عقله، لكنها بدأت بالتلاشي حينما لاح امامه الاسطبل، فرحب به خيل عربي أصيل سكن الليل فراءه بغرة بيضاء قمرية تضئ جبهته و قوة في قوائمه الأربعة يضرب الأرض فرحاً بقدوم صديقه. أمسك ليل لجامه يداعب رأسه بحب شديد والابتسامة تسلك طريق وجهه قائلًا:

_ و انا ايضاً اشتقت إليك بشدة يا عزيزي شلبي. أتعلم من يطلق على جواده ذلك الاسم ؟! أجل والدتي و لما لم أغيره؛ لأنني متيم بما تحبه أمي. ربما كانت تلك أكبر مشاكلي أهرب من جعلي نسخة منها لكنني أحب أن أكون نسخة معدلة، ففشلت في كلا الحالتين. ما رأيك في جولة؟

كاد يعلو فرسه حتى طرقت كلماتها أذناه و سرقت تركيزه قائلة:

_ سبحان الخلاق ما أجمله خيل!

استدار لها بجسده و هابطا من فرسه مباغتها بسؤاله:

_ ماذا تفعلين هنا؟

تجاهلت سؤاله مقتربة بحذر من الجواد قائلة :

_ اخشى الحيوانات لكنني مررت بالكثير اليوم.

تم نظرت إليه مكملة و يعلو حديثي طيف سخرية:

_تعلم أمور يمر بها أي أحد.. تسافر عبر الزمن، وذئاب تحاول قتلك، و سيارة عجيبة ما كانت لتتسجها احلامي، و أخيرا ذلك المعتوه صاحب المطرقة لما لا تعطيه والدته شيئا اخر ليلعب به غير تلك المطرقة المدببة؟!

ابتسم ليل ثم أضاف ساخرا:

_ تخاف عليه من الأذى!

انفرجت اسارير وجهي بقوة قائلة:

_ لم اعتقد انك تمتلك روح الدعابة.

أشار لي ليل بيده و يده الأخرى تداعب الحصان قائلا:

_ اقتربي لا تخافي قد لا يطيع الكثير لكن شلبي لطيف و طيب.

تعجبت من الاسم لكن كما ذكرت رأيت الكثير تقدمت بحذر متفوهة:

_ ألا يوجد سكر او أي شيء كما أرى في التلفاز.

فامسك ليل يدي فاحتل جسدي قشعريرة اهتز لها بالرغم من ارتدائه لذلك القفاز السميك.. بدأ يقربها ببطء تجاه رأس الجواد بينما يقول:

_ الحيوانات تحفظ المعروف افضل من بني البشر اقتربي سيتعرف عليكِ و لن يؤذيكِ.

_ماذا عن ملامحي المختلفة؟!

تحدث بهيام بينما ينظر إلى عيني :

_ الحبيب يراه القلب لا العين، و هذا العقار لا يؤثر في الحيوانات.

تغافلت عن نظراته التي تحدث زوبعة من الاضطراب و الترنح بين المشاعر المختلفة بداخلي و شرعت انامله تداعب فراءه، و سرعان ما رضخ لي صار قلبي يحلق يقفز رهبا و فرحة بين حناياي و ترك ليل يدي لأحتضن رأس الجواد بكلتا يداي تعجبت لوهلة من نفسي كأني كنت اداعب ذلك الجواد من قبل فنفدت تلك الأفكار من رأسي سريعا. حرك رأسه بين أحضاني ببطء و حينما اشتم رائحتي بدأ يقفز بقوة و عنف كمن وجد ضالته، بدا سعيدا ودار حولنا بسعادة بينما يمسك ليل لجامه بقوة، و قدمه تجعل الرياح تهب ذاريات علينا، الرمال تتناثر حولنا. علت صوت بسمتنا انا وليل فلمعت عيونه لتحاكي القمر في الفضاء فمنذ أن ووطأة قدمي ذلك العالم لم أرى تلك السعادة على وجهه، أشار لي لأجرب ركوبه لكنني اكتفيت بتلك الحماسة و براعم السعادة التي نبتت بداخلي، وتركته مبتهجا و اتجهت إلي مضجعي. نمت هذه الليلة بدموع أقل و اشتياق أكثر لعالمي. ربما رؤية أحدى الجميلات هناك تشبه والدتي ساعد على هدوئي، أو ربما بهجة ذي العيون الليلية، أو ربما أن اليوم كان محملًا بالصعاب فخلدت إلى النوم سريعا كم اتمنى انتهاء ذلك الحلم والعودة لواقع.

استمرت بسمته حتى غادرت وثم بدأت بالتلاشي رويدا رويدا فنظر تجاه النجوم فوجد البدر تسيد السماء، و تناثرت حبات اللؤلؤ حوله لتزفه في موكبه، يظهر تحته جمال تلك الحبات الصفراء، فانطلق يشعلها لهيبا تحت قدمه، و يضرب الهواء خصلات شعره بقوة. أغمض عيونيه و حرر يديه ليحتضن برودة الرياح عساها تلطف ما يحرق ما بينا حناياه، وما لبث حتى شاركه نديم في سباقه قائلًا :

_بات شلبي ضعيفًا فلنتنافس قليلًا كالأيام الخوالي يا صديقي!

كان يهتز جسدهما بقوة فوق الفرسان و تتناثر حبات الرمال حولهما، فينظر كل منهما بتحدٍ و مرح للأخر، حتى لاح امامهما طيف يامن عند اسطبل الخيل متخفيًا فأنهيا سباقهما.

قابلهما يامن فرحبا به بشدة و جلسا يعلماه آخر المستجدات، لكن كبير القبيلة أعلمهم بقرب قدوم ذلك الآلي. فخلدا للنوم سريعًا. تلك الأجهزة اللعينة تقيس نشاط عقلك طبقا لحسابات دقيقة و رسومات و نبضات كهربية ينتجها عقلك تحكم إن كنت نائما او تتحايل. لذا يتوجب عليهم النوم قبلها بمدة ليصلوا لتلك المرحلة و لا يخسرا النقاط. فريق الضراغم لهم حرية النوم لكنهم يضيقون على فريق الارام

باقتناص عدة ساعات من يومهم في النوم و تلك الأزياء تقيس نشاطهم الحيوية و تظهر بيناتهم، لكن نديم يسيطر على زي زمهرير فيشوش اشارته، فيجهل الجميع معرفتها .

الفصل الثاني عشر

في الصباح ادينا جميعا فرضنا، و كان صوت كبير الواحة جميلا ويبعث لروحي الاطمئنان و الهدوء. الصباح كان بارد تشوبه بعض الأبخرة الساخنة لمدافئ و انفاس اهل الواحة، اجتمع اربعتهم يتناولون طعام فطورهم مختبئ بينهم يامن؛ حتى يتسنى له معرفة باقي التفاصيل. لم يكن يامن من النوع المفضل لكبير الواحة يرى الطمع في عينه، لكنه الامهر في التسلل و معرفة الطرق المختصرة. بدا ذلك واضحا حينما تلاقا، و بدا حذر العجوز كبيرا اثناء الحديث معه، لكن نديم اخبره ان يثق به. لطالما احتفظ نديم بجبلة طيبة انعكست على تعلق الأطفال به و احترام كل من تعامل معه. أخبرهم العجوز أن القواعد تغيرت لا يوجد لغز إضافي سيكتفون بذلك اللغز الأول وهو يحمل الحلين معاً. وضعوا الأبيات الشعرية أمامهم مجدداً يتفكرون بها بينما ذهب ليل لإحضار زمهرير من عند النساء، و خرج العجوز يتجول بين اهل الواحة.

زمهرير

اعبث بكرات العجين يميناُ ويساراً فأصاب ملابسي وابل من الدقيق، ولم ينجو وجهي منه، حتى يئستُ من صنعي بها أي شيء نافع مثلهن، فتركتها وعلامات الغضب تعتلي وجهي. أوقفتني إحدى السيدات قائلة برفق:

_اصبري يا جميلة. أ كلما استعصى علينا أمرٌ فررنا من مواجهته لما استطعنا الحياة!

تفوهت بيأس: الأمر أنني لا أجيد صنعه فليفعله من هو أفضل. انظري لحالتي!.

امسكت يدي لتجلسني قائلة:

_ كم من المدة استغرقتِ؟

_حاولتُ عدة مرات.

تفوهت بينما تعد احدى كريات العجين :

_إذاً فلنحاول عدة مرات مع معلم جديد بأسلوب جديد لم نُخلق نجيد صنع كل شيء هيا سأعلمك كيف تصنعين تلك الحلوى الشهية.

بعد عدة مرات تكرار، و فشل نجح الأمر كانت تلك أول مرة استمر في أمر بعد فشلي به، ثم مكثت أصنع بها أشكالًا عدة، و تجمع الأطفال حولي نشكل خبزاً يشبه الدمية، أو ذلك الآلي المزعج الذي يطوف كل ليلة بيننا. باتت تلك من صيحات الزمن القديم لكنهم يفضلونها. الآلات من تتكلف بصنعها لكن هيهات لما بينهما لطاما كانت نكهة الحب المضافة للطعام افصل بمليار مرة او يزيد من مكسبات الطعام تلك. اخبرتني ان اصنعها كأني سأقدمها لأحد اطفالي؛ طعام الام دائما ما يزيد من نكهة الحب تلك. رب كسرة خبز من يد امك خير من طعام اشهر الطباخين . تركت الطعام ينضج و تجولت في الواحة. تذهلني تلك الفجوة الزمنية بين المكانين أهل الواحة يتمتعون بكرم و يوفون بالعهود ما استطاعوا ، و منهم من ارتقى لأعلى المناصب . أخبروني أن تلك الواحة مقصد للاسترخاء و العلاج بحبات رملها الذهبية، و ما زالوا يقاومون تلك الآلات؛ لأنها تنغص عليهم حياتهم. قانون كبير الواحة معروف لن تدخل تلك الآلات الواحة ليهرب ما يجمع بينهم من ود و أُلفة، و ما دخل فله قوانين و حد في الاستخدام. راودتني أشباه ذكريات مشوشة لمسات تلك الاطفال و تعاملي مع أهل هذه الواحة ينعش ذاكرتي بذكريات غريبة كأني زرت تلك الواحة عدة مرات. شعور المودة بيننا كأننا يجمعنا رابط قوي، كأني أمضيت اوقات عدة بين حبات الرمال تلك. الصداع يزداد كلما فكرت في الأمر. كأن تلك الذكريات المشوشة تُلقى في رأسي مثلما يُلقى الحجر في الماء، و ما يأسر تفكير أنني لا أعلم حتى الآن شيء عن تلك المهمة التي جئت لأجلها. قابلني كبيرة الواحة ملقيًا التحية فشعرت كأنه من سيهدي ضلالتي.

اوقفته قائلة :

_هل أنت متفرغ يا سيدي.

ابتسم لي بلطف:

_ بالطبع يا بُنيتي أقبلي. لنتناول كوبا من القهوة.

تحركت معه بينما أقول:

_ لا امانع تناول كوب من عصير الليمون لست من محبي القهوة كما أني غريبة هنا لذا رأسي تعج بالأسئلة.

رفع حاجبيه متعجبا ثم قال:

_ تشبهين سيدة جليلة محبوبة من اهل الواحة.

بعيون حائرة تفوهت :

_ اشبها في أي شيء؟

_كانت لا تحب تلك المنبهات و تفضل تناول عصير الليمون اثناء أي اجتماع بيننا، ثم لمحت في صوته طيف حزن مكملا: فلتدعِ لها عسى الله ان يفرج كربها، وانا يا بُنيتي كلي آذان صاغية و مجيب إن شاء الله

و صلنا و اخبر احد الأولاد بصنع الكوب لي كانت غرفته يعلوها البساطة بها نافذة يطل بها على اهل الواحة، و اثاث بلون البني و ينبع منها رائحة الدفء جلست على الكرسي، ثم سألته:

_ لما تعليم العربية هنا يأخذ تلك الضجة؟ مررت منذ قليل على مجموعة أطفال يتعلمونها ولم أرى أي تعلم للغة أجنبية؟

جلس امامي و بدأ بالحديث :

_قديماً كان هناك البعض من يعتقد أن تعلم اللغات الأجنبية خير من تعلم لغتك الأم؛ لذا تسابق الكثير على تعليم أبنائهم تلك اللغات مهملين أصلهم و غير مهتمين بزرع قيم أساسية بداخل تلك الدرر الصغيرة عن أهمية اعتزازك بوطنك و لغتك و حضارتك و دينك الذي كرمك به الله ، فقل حرصهم على إتقانهم وتعلم جزء مرضي بتلك القيم ثم التوجه للغات الأجنبية أينما شئت. وهذه كانت طريقة تلك الدول التي باتت متقدمة آن ذاك في التعليم. لكنهم لم ينتقوا ما ينقلوه. لذا و بعد فترة ظلامية مررنا بها تيقن المطورون بضرورة الأمر، و مع التقدم الحضاري كما يدعون بات الطفل في أول سبع سنوات من حياته يتعلم لغته الأم دون اختلاط بلغات أو ثقافات أخرى، ثم بعدما ننشئ تلك القاعدة يُرسل الطلاب إلى مدارسهم أو يستمرون هنا في تعلم تلك العلوم الأخرى مضيفين معتزين بلغتهم و تقاليدهم. كادت تنتهي تلك العزة الفارغة بثقافة الغرب بعدما ظهر للعالم أنهم يقولون ما لا يفعلون، و وقع قناعهم المزيف الذي يخفي وراءه براكين من دماء الابرياء .

اتسعت عيناي مما يقول ثم تناولت الكوب من الصغير قائلة:

_ يبدو أن الأمة في النهاية أدركت طوق نجاتها لكن استطيع تكلم العامية هنا لكن لاحظت أنكم قليلي الحديث بها.

_لهجتنا العامية فخر لنا أيضا لكننا نحاول تعليمهم مخارج الحروف الصحيحة و قواعد النحو بممارستها، ثم بعد ذلك لك الحرية في تكلم أو استخدام أي لغة تريدها.

_لم أرى جماعة يتحدثون بها هنا.

_ذلك لأن هذا الجانب الخاص بتعليم الأطفال القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم و تعاليم دينهم على اختلافه. لاحظتِ وجود مراكز رياضية كركوب الخيل و التخييم و السباحة و الرماية و ألعاب أخرى ككرة القدم وباقي الرياضات، أم الجانب الأخر مخصص للسياحة و الاسترخاء و الاستمتاع و استضافة المتهورين المشتركين في لعبة الغابة المميتة، ولولا ما نكنه لليل و عائلته من فضل ورباط النسب و الدم بيننا ونديم لما استضفناكم هنا.

شعرت بالذنب لأني لم اتناول ذلك العقار من اول مرة فحاولت تجاهل الامر وسالته :

_لِما لا يوجد أجهزة هنا؟ أقصد بعض الآلات التي رايتها في المدينة؟

امتعض وجهه قائلا:

_ يجب علينا أن نتعلم كيف تعمل الآلة اولًا ثم نستخدمها لا نعتمد على الآلات بشكل دائم كي نكون نحن المستخدمين لها ولا تستعبدنا. مثال لك بُنيتي لو كانت أمك تجيد تنظيف ملابسك جيداً دون مغسلة ستصبح ابنتك تجيده بقدرة أقل. بينما إن كانت تعتمد على تلك الآلة بشكل تام ربما إن تعطلت آلة ابنتك في المستقبل ستعجز عن التصرف. هذا ليس قانوناً محدثًا لو تمعنتِ في تاريخ البيوت الملكية على اختلافها ستجدين أن الأمراء يجيدون صنع كل ما يفعله الخدم قبل أن يأمروهم به.

_ منذ متى و الحياة هكذا؟

_لم ننهي العقد الأول. من أي مدينة انت يا بُنيتي لم أرك بالجوار؟

_ من مدينة بعيدة جداً لم يصلها ذلك النور بعد.

قطع حديثنا قدوم طفل يخبرني باستدعاء ليل لي شكرته فأعطاني قطعت حلوة و رأيت طيف ليل على مدخل الباب يطلب خروجي، وأثناء سيري بقطعة حلوى صغيرة اتناولها أشرت له بها:

_أتريد قطعة؟ ثم سحبتها بسرعة من امامه مكملة : لن أعطيك و لا استطيع إخبارك السبب.

رفع حاجبيه قائلًا: أنتِ أنضج من تلك التصرفات. هيا لقد أتى يامن.

****

عندما هللت عليهم أغلق ليل الأبواب بإحكام ربما كانت تلك سمة العصر بها فالبيوت تشبه الخيام في الشكل بلمسة عصرية وإلكترونية. ألقى يامن التحية علىّ دون اكتراث متفوها:

_الفتاة الغامضة إذا.

تابعنا التفكير والبحث مجدداً حول ذلك اللغز. في تلك اللحظة أثناء حديثنا و مع فرض سيطرة قرص الشمس على السماء. جذب انتباهنا شكل الإطار المحاط به كلمات الابيات.

ضرب ليل رأسه قائلا:

_كيف لم ألاحظ ذلك إنها احرف هيروغليفية*.

حاولنا استخدام تلك الأجهزة لكن لسوء الحظ لم تستجب أجهزتنا لترجمتها. تفحصها نديم ثم قال ممتعضاً و علامات الغضب تملأ وجهه: لقد فعلها "نمير" وعطل أجهزتنا.

انتهى مفعول الجرعة من ذلك العقار المغير الملامح. فغر يامن فاه و اتسعت عيناه ذهولا قائلًا:

_ سيدة زمهرير!

أغلق ليل فمه سريعًا قائلًا :

_أين الجرعة التي طلبتها منك ؟

اجابه بينما علامات الصدمة ما زالت تحتل وجهه :

_لم يتسنى لي الحصول عليها بالكاد استطعت الوصول إلى هنا...لو أخبرتني أن الأمر بهذه الخطورة لتدبرت الأمر يصعب علينا الحصول على مثل تلك العقاقير. خيل لي أنها رفيف؛ لذلك تعطيها تلك الجرعة.

بدأ يقلب كفيه مضيفا:

_ويلك يا ليل لقد حُكم عليكما بجلسة موجات جراء عدم تنفيذك الأوامر أما في مخالفتك لمثل تلك القوانين، و استخدام تلك الأجهزة المحظورة قد يتسبب لك على الأقل بعامين من الجلسات، او الأسواء استخدامك حتى الموت. ماذا لو رآها أحدا غيري من اهل القرية.

طمئنه ليل قائلا:

_اهدأ يا يامن لولا ثقتي بك لما أخبرتك بالأمر.

فرك يامن رأسه ثم قال :

_الآن الحسابات مختلفة نحتاج آسر.

رد ليل بانفعال:

_لا.. لن يتدخل آسر.

تفوهت زمهرير متسائلة :

_ لما ألا تثق به ؟!

هز ليل رأسه نافيا ثم أضاف: بالطبع اثق به لكنه اخي، و اخشى عليه التورط معنا.

تحدث نديم برفق ليهدأ من غضبه قائلًا :

_صديقي الأمر معقد. آسر أنسب لتلك المهمة يجيد تلك اللغة ما دامت تلك الأجهزة لم تستجيب، وأنا سأقنعه بنفسي، وأما يامن فقد يساندنا في معرفة الطريق إن كان ذلك الحجر مدفون في أي بقعة. أو توفير جرعة أخرى لنا. استجاب ليل لحديثهم بينما حاول يامن اجراء اتصالاته لتوفير جرعة أخرى لهم.

على الجانب الآخر من الواحة شاب به حمرة الشباب مشتركة مع أثار الشمس بشعر أشهب يخفي عينه، و ملامح أوربية، وانف مدبب، و عيون بندقية، و جسد نحيل افترش الرمال، وبسترة تظهر ذراعيه بالكامل اللذان بدا عليهما مسحة رياضية ،و بنطال واسع يرتدي قبعة كبيرة، و يضع قشة في فمه تحت ظل شجرة يأخذ قيلولة صغيرة حينما أفسدها عليه بعض الأطفال بندائهم المتكرر له فامتعض وجهه و ضرب الرمال بقدمه. آسر شاب كاد ينهي نصف العشرين متيم بدراسة الأثار كوالده و بملامحه الأوربية و لكنته كان يتسلل بين الصفوف لمعرفة الكثير عن تلك الكنوز. أطلع على كتب والده، و نمى وترعرع ذلك العشق بداخله حتى احتل كيانه منذ الصغر كان يقضي معظم يومه بين طيات الكتب و المعابد القديمة. اصطحب والده في كل رحلاته تقريباً. سيطر حب الآثار و التحف الفنية عليه فصار يجيد تقليد تلك التحف القيمة، جعل من غرفته متحفاً مصغراً لكنه سلك منعطفاً خاطئاً بمساعدة أصدقاء السوء و سلطة هامان كان يبيع تلك الآثار القيمة على أنها اصلية. بدأ الأمر بمزحة بينه وبين أصدقائه و كنوع من الهدايا، لكنه تطور مع غياب و الدته و سيطرت الشيطان عليه حتى كاد يودي بحياته لولا تدخل ليل و حل تلك المعضلة لكان يمكث في السجن إلى الآن. انتهى الامر على انها هدية و أخطئ آسر العنوان. بعد أول و آخر صفقة له اختفى عن الأنظار في تلك الواحة و لم يره احد إلا منذ عامين في تلك اللعبة. يحاول معه كبير الواحة بين الفانية والأخرى دفعه لطريق الصواب و العودة لعائلته. عساه ينتصر على شيطانه.

توجه يتناول طعامه لكن نديم اعترض طريقه فامتعض وجهه قائلًا:

_اهلًا نديم لم يقضوا عليكم إلى الآن هنيئًا لكم.

_لا نمتلك حظك أو ما قدمت للنجاة لكننا نحاول.

تحرك تجاهه مشيرا لرأسه : ليس حظًا بل استعمال هذا الشيء.

_لذا نحتاج مساعدتك.

ابتسم ساخراً: وهل يحتاج السيد ليل المبجل مساعدتي أنا العبد الفقير.

_تجيد الهيروغليفية و نحتاج إليك.

بلهجة سخرية اكمل :

_عجزت الآلات وتحققت نبوءة كبير الواحة إذاً. أم تفوق نمير ذلك الفتى الهاوي عليك يا عقرب الآلات.

حاول نديم السيطرة على غضبه فآسر لن يساعدهم إلا بالإقناع لا القوة و اكبر وسيلة لأقناعه هي برؤيته لزمهرير:

_ توقف عن السخرية حينما تأتى ستعرف أن الأمر بالغ الخطورة.

رافقه مكرهاً حتى وقفا أمام الباب، ثم أخذ نديم شهيقًا عميقًا قائلًا:

_تمالك أعصابك...لولا ثقة ليل بك لما اصحبك.

ثم فتح الباب لإدخاله. كان لقاؤهما يسوده تلك الشحنات السلبية نظرات غضب تعلو وجه كل منهما يتعاملان بجفاء تام حتى قطع آسر لغة العيون بينهما قائلًا:

_أظن أنها نهاية العالم أن نجتمع أنا والسيد ليل في غرفة منذ مدة.

أجابه ليل بهدوء تام متغافلًا عن حديثه:

_أجلس.

_لا أريد فقط أخبرني بالأمر.

زفر ليل مضيفًا:

_ألقِ نظرة في الخارج قليلًا.

_لا تقلق لم يتبعني أحد. لا تخف على نقاطك لن يعرف أحد بمساعدتي .

غصن ليل حاجباه فاتجه آسر تجاه الشرفة قائلا:

_لنرى ماذا أحضرت.

فغر فاه وعلت الصدمة وجهه أغمض عينه و فركها عدة مرات ثم استدار لليل متحدثا بصعوبة:

_ هل جننت ؟!كيف تقرر ذلك القرار المصيري بنفسك؟!

تغافل ليل عنه و أجاب بهدوء:

_ الأمر مدروس مسبقا.

صرخ به بينما احتقن وجهه بالدماء من الغضب قائلًا:

_ أي دراسة يا هذا! كيف تجلبها إلى هنا وتعرضها لخطر تلك اللعبة ؟ ألا تعلم أن النجاة مستحيلة؟!

_لذلك أنا بحاجة لمساعدتك.

ركل الكرسي بغضب مضيفا :

_ فلتعترف مرة بأنك مخطئ لما لم تخبرني من البداية ؟! أتأتمن صديقاك ولا تأتمن أخاك؟! لماذا تعاملني كأني طفل؟ أنا راشد يا ليل.

_ وأين كان يختبئ ذلك الراشد طيلة الفترة الماضية؟

_ رحلت عندما علمت أنني مهمش.

زفر ليل متفوها :

مهمش تلك الكلمة التي زرعها برأسك ذلك الشيطان هامان. احتاج منك أن تسيطر على مشاعرك و لا تشعرها بشيء. فلتصب تركيزك ؛ حتى نخرج من هنا تبقى القليل من الوقت.

ثم أذن ليل بدخولهم ثم قدّم آسر قائلًا:

هذا أخي عالم آثار مستقبلياً و يفقه تلك اللغة عن ظهر قلب .

تبادلنا التحية لكن هناك ما يخفيه ذلك الفتى بين عينيه. طالعني بنظرة اهتز لها فؤادي فعلق عينه عليَّ كأنه يتفحص اني حقيقية يسير كالمنوم مغناطيسيا تجاهي لكنه سحب اللغز من يدي يترجمه.

أخذ بيده بضعة ثواني ثم تفوه بعدما تمحصه :

_أريد مرآة تلك الاحرف معكوسة!

ناولناه مرآة فبدأ يترجم قائلًا:

بدرجاته الشاهقة يلوح في السماء

تحفة العصور، بناء الضياء

رمز للهندسة و العبقرية و الذكاء

تربع على عرش العالم بخيلاء

علت علامة الاستفهام وجوهنا، و بدأ كل منا يدور يميناً ويساراً مفكرين في الحل. بدأ آسر في التقليب بين طيات عقله حتى بتر حالتنا صوت أحد الأطفال ينادي بجاهزية الطعام.

انطلقنا نتناول بعض اللقيمات بمفردنا بعيدا عن اهل القرية حتى لا ينكشف امري. كان الطعام لذيذا، لكن ذلك اللغز نغص تلك اللحظات. الوقت يمر و دقات الساعة تمر بسرعة شديدة اشعر بالخوف لقد اقتربت نهايتي، وأرى الحيرة تحتل اعينهم. اقلب عيني بينهم فأرى الدهشة في وجه يامن، و يتحاشى ليل و آسر تلاقي عيوننا، لكن لوهلة شعرت بالضيق لما يتبادل كل من آسر و ليل تلك النظرات الغاضبة. هممت بالمغادرة لكن آسر اوقفني بسؤاله:

_إلى أين ؟ لا يمكنك المغادرة سيتعرف عليك أهل القرية.

_ سأستنشق بعض الهواء و أفكر بالحل بمفردي.

هم بالحديث لكن ليل أوقفه قائلا:

_فقط انتبهي من ان يراك أحد.

تفوة آسر بحنق شديد حينما غادرت زمهرير :

_قد يراها أحد هذا غير آمن.

أجابه ليل بينما يتناول طعامه:

_الواحة آمنة حتى ولو رآها أحد فلا يضيرنا. ثم ارتشف بعض الماء مكملا: تعلم انها لن تستجيب لنا.

ترك آسر طعامه وهم بالخروج فسأله ليل:

_ إلى أين؟

_شبعت.. أحتاج بعض الوقت يكفيك ما حصلت عليه طيلة اليومين. فهم مغادرا دون سماع رد ليل.

هز ليل رأسه بانزعاج يتفوه بصوت منخفض:

_طفل في زي راشد كما تقول امي.

فهون عليه نديم قائلا:

_لا عليك يا صديقي. دعه و شأنه لديك ما يكفيك الان، أما هذا الصغير سينضج يوما ما.

الفصل الثالث عشر

آسر

دائما ما كنت مهمشا و حيدا تحتضنني جدران غرفتي، و من قبلها والدتي حينما تتذكر انها تمتلك ابننا آخر غير السيد ليل. لطالما كنت المدلل لدى والدتي، امتلك لسانا عذبا فتشيد به، و تحب سحر كلماتي عليها لكنها ما كانت تضعني في المواضع الهامة كطفل ظلت تراعني و تُكلف ليل برعايتي. بالرغم من براعتي و تميزي، لكن من أخدع تعلقت بوالدي و بعلم الاثار حتى أشعر بالانتماء له حتى اجد طريقا يسير حوارنا به. لم يجدي ذلك نفعا و بدأت حبات الرمال المتواجد بين طيات تلال اليأس تتسرب إلى حياتي حتى جعلتني اغرق بين طياتها.

التوسط لطالما أخذت تلك الصفات المذمومة به. وهرولت من أمامي جميع خصاله المحمودة، توسط ترتيب أخوتي لم اتمتع باهتمام امي كرفيف او تقديرها لي كليل. صرت ذلك الفتى الذى يشبهه الملايين لم اتميز سوى بتلك الملامح، و القدرة على التقليد. فقدرتي على التقليد برعت بها كما لم ابرع في أي شيء، فصرت مرآة لأي شيء اراه. احاكي أصوات الأجانب و طريقة لفظهم لتلك الحروف المتلعثمة و يخالونها لغات، واتقنت اكثر من لغة لأبحث عن نفسي بين طيات هذا العالم. مع سهولة الطرق و قلة مدة الرحلة تجولت في الكثير من البلاد، وقرأت و رأيت عدة ثقافات. لكنني دائما ما اعود اجوفا و فارغا. لم تقتصر موهبتي على تقليد الأصوات وحسب، بل امتلكت مهارة بيدي. ارتفع صيتي بين أصدقائي او أصدقاء السوء كما يدعوهم المبجل ليل، و امتلكت يد ساحر كما دعاني هامان، و حينما بدأ أسمي يرتفع في الأسواق تدخل السيد ليل وأفسد متعتي. ما كنت أريد مالا او مركزا لم أريد سوى الشعور بالانتماء لشيء. حاولت أن أكون صورة من ليل لكنني فشلت في كوني صورة معدلة منه. لم استمع إلى والدي حينما قال" حياتك مختلفة و ميزانك و فرصك أستغل تلك الكنوز الذي وهبها الله لك في حياتك و لا تلتفت إلى ما متع الله به احد غيرك." كان يختم حديثه بأية قرآنية " قال تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [طه : ١٣١]

كان كبير الواحة من أعادني إلى القرآن بعد تلك اللعبة المميتة ما زال الندم يتسيَّدني كلما تذكرتها لكن ما كنت لأسمح لاحد بمعرفة ذلك الشعور. أما القرآن_ طوق النجاة_ الذي جمع شملي بالحياة و دلني على سبب وجودي في هذه الدنيا الفانية، أزال عن عقلي تلك الغشاوة فربما كنت على وشك الانهيار و

الوقع بأكبر الكبائر بينما اختفت امي من حياتنا. ادركت حقيقة الدنيا و كوني عبد لله هو افضل ما بها. لا أحتاج و نيسا بينما لدي الله يا له من صاحب في تلك الرحلة الهلكة. اطرق بابه في أي وقت في أي مكان وبأي لغة، وادركت لما حرص والداي على زرعه بداخل قلوبنا منذ الصغر، فحزنت على تلك الليالي البائسة التي مكثت بها ابحث عن دواء و رفيق اشكو له حالي بينما الطريقة واضحة كما يقول ليل" توضئ و دع الرياح تداعب تلك القطرات المتمردة على وجهك و توجه للقبلة و تلال الهموم تلك ستصبح هباء منثورا"

ليل.. اعترف بغيرتي الشديدة منك لكنك مغرور يا اخي تخال نفسك الأفضل في كل شيء. لم تحاول محاورتي كصديق او أخ ما زلت تراني صغيرا لست طفلا يا اخي و لست آلة لا تخطئ. بمحاولته للمحافظة على حياتنا بعد رحيل والدتنا صار القطة التي تحاول حماية اطفالها بقتلهم. قد تتغير عدة من افكاري السوداوية، لكن فكرة تهميشي ما زلات تحتل كل ذرة في كياني.

توقفت فلاح امامي طيفها هكذا تقف عندما تشعر بالخوف هكذا تسير حينما ترتبك. فلتهدئ يا ذا الدقات فصوتك سيفضحنا جميعا و يخرب الماضي و الحاضر و المستقبل.

تقدمت بصوت يخرج ببطء من سجن شفتاي:

_اللغز صعب لكنه ليس مستحيلا.

ارتبكت زمهرير و لكنها تجاوزت الشعور مثلما اعتادت منذ يومين فأبى صوتها أن يكذب حقيقة ارتباكها لروية ذلك الشاب تفوهت :

_هل وجدت حل له؟!

تقدم خطوتين تجاهها مدقق النظر بها فتمتمت بداخلها: ألا يستحي ذلك الشاب.. فليل الذي زعم انه زوجي ما كان يطل النظر مثله.

فمسح على رأسه قائلاً:

_أراكِ مرتبكة.. لا تنزعجي مني فقط تلك تعبير صدمتي لرؤيتك.

ضممت كتفاي لأعلى مكملة : يشعر الجميع بالصدمة كلما لحتُ أمامهم ما الجديد.

_لكن علاقتي بك مختلفة عنهم جميعا...

بترت حديثه ساخرة:

_وهل انت زوجي في هذا العالم ايضا؟! سأحرمك من تلك الكذبة لا اتزوج من ذووا الشعر الاشهب.

ابتسم ابتسامة بأسنان مرصوصة كأسنان المشط بينما يتمتم بداخله :

_تلك الصفات العنصرية بك منذ الصغر إذا..

ثم تابع بصوت يحاول إخفاء توتره به:

_ لكنني لست زوجك.. انا اخوكِ.

رفعت حاجباي بسخرية:

_و انت لا تجيد الكذب.. هل أنجبت امي طفل و اخفته عني كل تلك السنين.

هز رأسه نافيا :

_انا أخوكِ من الرضاعة ..ستتعرفين عليَّ في المستقبل.

تفوهت بشك قائلة:

_و حينما اتزوج ليل ستتعرف عليك والدتي؟! يا لها من قصة بحبكة ضعيفة.

هز رأسه بالإجاب: لكنها حقيقة.

_ و لما تخبرني بها؟!

_حتى اهدئ من روعك و أفسر حقيقة شعوري لك.. لقد كنا افضل صديقين في الماضي.

ما زلت محتفظة بنظرات الشك له و قلبي يرفض تصديقه لكن لما تلك الوخزة التي تراودني كلما رأيته تبدو مختلفة كأني اريد الاستمرار في الحديث معه يروق لي صوته يروق لي حركاته و بسمة ثغره كأنه جزء من قلبي. أهذا ما تفعله النظرة إذا. نفضت تلك الأفكار عن رأسي ربما تلك اعراض جانبية للسفر عبر الزمن أن يتشوش عقلي كلما حدثني احد، فحاولت مراوغة شعوري بسؤاله:

_أنت الفائز منذ عامين.. ما مصير فريق الآرام ؟ هل تعرضوا للقتل؟

هز رأسه نافية بقوة:

_انا أضعف من تحمل كبد ذلك الذنب. لم اقتل أحدا.

_ربما لهذا السبب وثق بك ليل.

وضع يده في جيبه محركا كتفه لأعلى بلا مبالاة:

_لأني الحل الأوحد أمامه لطالما همشني و لا يلجأ إلي. لطالما تم تهميشي.

تفوهت بصوت منخفض قائلة : كود خصم!

رفع آسر حاجبيه قائلا : ماذا ؟!

تحركت خطوتين لأمام ثم أكملت :

_تذكرت عمي عند التحاقي بالجامعة اصحبني معه لشراء بعض الأدوية و عندما أخبره الصيدلي بالسعر أشار تجاهي قائلا "انظر هذه ابنة اخي صيدلانية" عفا الله عنه كان يراني كود خصم .

انفجر آسر ضحكا حتى سقط رأسه :

_لا استطيع تخيل نظرتك له.

ابتسمت قائلة : يكفيه نظرة الناس هناك.

بتر حديثنا صوت ليل الجهور بغضب :

_ يكفي إضاعة وقت و لتهتم بمهمتك.

دارت عيون آسر بلا مبالاة متفوها :

_مفسد المتعة كعادته لنذهب قبل أن يزج كل منا في السجن.

تفوهت بينما اسير تجاه ليل بتلقائية:

_فلتحترم أخاك الكبير.

ما كان ذلك ليثير تعجبي يبدو أنهم محقين و اني جزء من هذا العالم. تلك الكلمات العفوية و تلك الذبذبات العاطفية التي أمر بها لابد لها من تفسير و لن اجعل عقلي ينال منى هذه المرة لا مكان لزوبعة

أفكاري غير المرتبة. الوقت يداهمني احتاج لكل جزء من تفكيري. احتاج ذهنا صافية و قلبا متعلقا بربه لأنه المنقذ لي من هول ما أمر به.

****

تحلقنا مجدا كل منا يردد الابيات بعقله أستعين ببعض الادوات لعلها تهدي ضالتي. حاول كبير الواحة الانضمام لكن ليل منعه بطريقة مهذبة وغير مباشرة. احترم رغبته و قرر توفير الأمن لنا فقط. ذلك العجوز يعلم رجاحة عقل ليل و لابد من تواجد علة كبيرة تمنعه. ثم تفرق كل منا في جزء من الغرفة وكان آسر على مقربة منى و بالجانب الآخر ليل. بينما غادر يامن و نديم لعدة دقائق. ألقى الصمت عباءته علينا و ما نزعها سوى طرقة أحد الأولاد الباب ليعطينا بعض الفطائر التي قمت بصنع جزء منها صباح اليوم. الغرفة تعبق برائحتها، دقائق البخار تنساب بدلال لتثير شهيتنا . تناولتها بشغف لقد صدقت تلك السيدة الفطائر بنكهة الحب اجمل بكثير الان اكتشفت سر طعام امي ولذاذته. ربما جعلتني ولو لعدة دقائق اشتم رائحة امي في المكان، أو اسافر لها لأشعر بها تربط على كتفي و تداعب خصلات شعري.

تفوه آسر بعفوية:

_فطائر لذيذة سلمت يداكِ.

ألقيت شاخصاي على ما بيده وجدتها ما صنعتها بدت بشكل مميز عن الباقي هذه ما صنعتها لكن كيف استطاع معرفتها؟!

_اشكرك.. لكنها ليست من صنع يدي

تفوه بينما يتناولها بحذر خشية الانتهاء:

_بلى انت من قمتي بصنعها. لديها شكل مختلف و نكهة مميزة... اقصد نكهة خاصة بك.

توجه ليل تلقاء الباب مغادرا و بيده فطيرته متفوها:

_لا عليك فآسر عاطفي بعض الشيء.

تفوهت : لقد أخبرتني السيدة أن طعام الام مميز لكن طعام الاخت هذه مزحة كبيرة.

أوقفته كلماتي فرفع حاجبيه متعجبا:

_اخت؟

_لقد أخبرني أننا إخوة من الرضاعة !

اردت بكلماتي التأكد من صدق المدعو آسر فأجاب ليل بينما يغلق الباب بقوة:

_ما دام اخبرك بشيء فهو صواب.

بعدما غادر استدار لي آسر و علامات الثقة تعتلي وجهه:

أخبرتك اني صادق.. ثم هذا الفتى لا يمتلك حاسة التذوق في تناول الطعام اقسم لك أنه يأكل تلك الفطائر المحلاة على أنها قطعت خبر.

تمتمت بصوت داخلي بسخرية:

_بل أكاد اقسم انا لك انك لا تجرؤ على لفظ كلمة الفتى أمامه .

لكنني هززت رأسي متفوها:

_لا بأس فأنا أمتلك لسانا يفتقر الشعور بالطعام لذا اقدر حالته.

ليل

ما زلت في ذلك الصراع و كاد يفتك بي كم اتمنى انتهاء ذلك اليوم و رجوع الحياة لطبيعتها كم اتمنى انتهاء ذلك البلاء عن روحي و عن العالم! نسيم الماضي المنبعث من بحر ذكرياتي يلطف جزء من آلام روحي الجريحة بينما لا يمكث حتى يشعل جزء آخر. بين لحظة و أخرى تصير تلك النسمات كالرياح الصرصر العاتية فتنزع ما بداخلي من امن، و هدوء، و تقلب مزاجي و رونقي رأسا على عقب، و اكثر ما يسهم في هبوبها هي تلك التفاصيل الصغيرة التي تضيف للحياة رونقا خاصا. ربما لمسة خاصة أو بسمة تلقائية ربما دعوة صادقة أو كلمة عفوية كفيلة بذلك، أو بالأحرى تلك القطعة . خليطة من الدقيق و الماء و بعض السكر كفيل بجعل يومك افضل كفيل بغرس الكثير من السعادة و الذكريات بأرض عقلك عنوة . تناول ليل تلك الفطيرة بهدوء ملقيا الستار على عيونه محاولا أن يروي عطش كل جزء منه لتلك النكهة المفقودة من حياته منذ مدة.

عادوا جميعهم إلى الغرفة وتغير صفر من الأحداث لا جديد ما زال اللغز محكم الإغلاق ولم يكشف الستار عنه حتى الآن، لكن لم يلبثوا حتى تفوه آسر بنشوة نصر بينما يعبث بجهاز لوحي امامه:

_الهرم الأكبر.

جذب انتباهانا ثم أضاف:

_ كيف استغرقت كل هذه المدة في حله أنا أحفظ درجاته عن ظهر قلب. سننجو لا تقلقوا أعرف الفخاخ والأماكن التي قد يخبئ به هامان الحجر.

تهلل وجهنا بالبشرى عندما أضاف أنه يقع على مقربة من هنا قد نستغرق ساعة.

قال نديم: الخوف كل الخوف من هجوم نمير.

أخرج آسر من جيبه علبة بها دبوس بحذر قائلًا:

_دبوس السيانيد [٤]هذه ما أملكه حاليًا إذا لمحتي طيف نمير لا تترددي في استخدامها!

انتفض جسدي من تلك الكلمة:

_أتريد ان تجعلني قاتلة!

هدأ ليل من انفعالي متفوهًا:

_لا عليك...لا يتوجب عليك استخدامه. فقط في حالة هجومه...آسر فقط يعرف خطورته لذلك اعطاكِ ذلك بغرض الدفاع.

قال يامن:

_ضبطت الجهاز ليوفر لكم الطرق المختصرة على قدر استطاعتي. سأذهب ما دمت اديت مهمتي، و حتى لا تُثار الشكوك حولي.

ثم أضاف نديم:

_لن تتركنا عائلتي نهلك لا تخافي يا سيدة زمهرير. اقترب النصر و اقترب انحلال العقدة.

[٤] مادة شديدة السمية تسبب موتا مؤلما.

بدأت شمس الغروب بالتجلي في السماء. لم يتألق ذلك الجمال أمام مقلتيّ من قبل، الطيور تحلق في الفضاء بكل حرية و الرياح تداعب حبات الرمال بنعومة صوت حفيف تلك الشُجيرات القليلة يزهر عقلي بالهدوء و الراحة ودع ليل كبير الواحة و ودع فرسه بحرارة . ودعت تلك الواحة بكل ما تحويه من جمال و سحر آخذا. بعدما تأكدت من تغطية وجهي بوشاح و ملامحي ببعض المستحضرات القليلة في الواحة لمحاولة تغير جزء من ملامحي؛ حتى يتسنى لنا الحصول على العقار. توجهنا تلقاء الهرم و اصطبحنا آسر معنا بعد نقاش طال بينهما. بي مزيج من مشاعر الفرحة أني أدرك أين أنا؟ و تأكدت شكوكي لم نغادر البلاد انا في مصر. اقترب الفرج سأرحل من تلك اللعبة و سأعرف تلك المهمة المجهولة. مع شعور بالخوف والاضطراب مما ينتظرني تبين أن صاحب المطرقة كان الأضعف، و نمير ذاك هو أقوى الضراغم هنا و قد تم دخوله محل متسابق آخر. كانت تلك من ضمن القواعد غير العادلة أن يتم استبدال أحد الضراغم بينما لا يُسمح لأي أحد من فريق الآرام أن يستعين بأي مساعدة خارجية؛ لذلك كان يتخفى كل من آسر و يامن.

لذا فإنها الوجهة النهائية الهرم الأكبر.

الفصل الرابع عشر

يتأرجح على كرسيه للأمام والخلف، بعض الاليات تعمل على تهدئته ببعض الذبذبات، و يغمض عيونه مفكراً تارة، أو يقلب في الفراغ عيونه المظلمة تارة أخرى . أتاه اتصال فأجابه على عجل بمجرد انتهائه حتي ابتسم ابتسامة يطوي تحتها الكثير من المخططات. أخبره المتصل من الواحة أن الفتاة الغريبة هي زمهرير، فعلى عجل استدعى حارسه لتوفير زيارة إلى السجن، ثم وقف يضع اللمسات النهائية على ثيابه، ثم صعد سيارته حتي وصل إلى باحة السجن يسخر من تواجد شجرة يتيمة بين طياته، لكنه أكمل طريقه حتى ترجل أمام البوابة. يسير في طريق مظلم به بعض الأضواء الخافتة مغطى العينين حتى وصل إلى تلك الزنزانة، فأزاح الجنود الستار عن عيونه ثم تحدث أحدهم بحزم :

ستتعرض لتلك الموجات فقط ثلاث دقائق يا سيد هامان. إن لم تستجب لها سنخرجك خوفا على حياتك.

أجاب هامان بمكر:

_اتمنى أن ان تجدي نفعاً أريد معرفة تلك الجرعة أكثر منكما لقد فتكت بالكثير من شبابنا الغالي.

تعجب الحارس متفوها:

_غريب ! أنت أكثر المستفيدين منها الغابة ما كانت لتزدهر لولا هؤلاء المجرمون.

قلب شفتيه متفوها:

_الغابة مجرد استثمار لا أكثر. متسابقي السيارات المقامة في الطرق الوعرة تزيد نسبة خسارتهم لحياتهم ضعف ما يتم في الغابة و تسير وفقًا للقوانين. كل ما يتم بها بموافقة المشتركين. ما ذنبي إن اشترك بها هؤلاء القتلة؟! ، بل يتوجب عليكم شكري لاحتواء هؤلاء المجانين.

انهى حارس اخر حوارهما قائلا بحزم :

_الجلسة جاهزة تفضل. أتمنى ان تحصل على تلك المعلومة لينتهي ما نمر به منذ خمس سنوات.

اردف هامان:

_ متلك سيدي اشتاق لعودة الحياة لطبيعتها.

دخل الغرفة ثم تابع بينما يقلب نظره بين طياتها:

_ أين السيد يامن لما لا يترأس عمله.

تفوه الحارس بينما يعده للجلسة:

_ لا عمل لك معه ، ثم احكم القيد فتسربت علامات الضيق إلى هامان مضيفا : لا إجابة لسؤالك .

احترق فؤاد ذلك الحارس على سجين الزنزانة الما و على فراق أحد ابناءه حزنا، فطالته نيران الغابة و احترق بها جراء تناوله لتلك المواد المخدرة. لطالما أوفدت تلك اللعبة نيران الاسى في صدور كل من شارك بها أو عائلته. أنت لا تربح ابدا بها، قاتلا كنت، أو مقتولا الأمر سواء. القتيل يموت مرة و يتجرع أهله سم فراقه مرات، أما القاتل فقد التصقت روحه بأرواح من قتلهم. يسير جثة هامدة تترنح بين البشر. عيون مظلمة و قلب متحجر، و كلما زاد طغيانه زاد عذابه، و كلما صفعته ذكرى اول ضحاياه علا الضجيج في رأسه فتراه يخمده بالمزيد من الطغيان. و لكن هيهات أن يهدأ.

بدأت الجلسة بخروج بعض الموجات على رأس هامان لعلها تنتقل معها كلمة مرور إيقاف تلك الآلة المتحكمة في العالم منذ خمس سنوات وبعدما عانى هامان من عدة تشنجات حتى انتهت الجلسة، تفقد الجنود حصيلة المعلومات الحاصل عليها لكنهم لم يجدوا مرادهم. ذلك الشكل المبهم الذي يخرج من عقولهم كل مرة. شكروا هامان على مساعدته ثم انصرف.

تلك هي الحياة منذ مدة كل ما يربطه علاقة بالسجين يحاول تلقى موجته الدماغية عساه تضاد موجاته الدماغية تلك الموجات فيتم أقافها او تنتقل كلمة المور إليه، و رغم المحاولات الكثيرة إلا انه لا فائدة ولم يعرف احد تلك الكلمة، حاولوا اقاف الجهاز عدة مرات لكن الطاقم الذي قام ببرمجته للمرة الأولى تم مسح ذاكرتهم او توفتهم المنية بتوقف في عضلة قلبهم. و حينما حاولوا تعطيله أليا انتشرت موجاته و سيطرت على المدينة فعم تسمم دماغي بسبب تلك الموجات جراء إصابة السجين بأمراض دماغية و نفسية كالإكتاب. ذلك المرض اللعين يعبث بكمياء الدماغ فيؤثر على حياة المصاب من كل النواحي. سيطروا عليها و حاولوا حصرها في بقعة صغيرة.

****

أعلنت الشاشات عن ابتعاد ليل عن الواحة وتقدمه، و تابع الاخبار بخوف يشوبه الغضب جلس تدوي ذكريات الماضي به، و تشعل الحنين في صدره. تذكر زوجته و بسمة ثغرها و لمساتها التي تضيف حنانا و هدوء لعشهما الصغير و لقلبه. اشتدت حاجته لها في تلك الاثناء دون أي وقت مضى؛ فقد

اصابه الكبر و عصف به المرض. يحتاج إليها لتربط على كتفه بين الحين و الآخر، و تناوله ادويته و ترعاه. لطالما سطعت شمس المودة بينهما و كلما تكتلت بعض الغيوم و الضباب بينهما بددها بدعوة صادقة و بسمة حانية تختم حوارهما حول تلك الغيمة. صار يقلب عيونه بين زوايا بيته بحزن جم. حيل بين ليلة و ضحها إلى قبر موحش ضيق كاتم للأنفاس لا يلطفه سوى نسمة و دلالها و لعبها. "لا تشبه أباها" هكذا كان يعلق الجميع اثناء تجمع العائلة. اي عائلة و قد انفلت عقدها. رحل آسر و اختفى منذ مدة لا يزورهم إلا في الأعياد، و انشغلت رفيف بدراستها لتخفف مما تعانيه من الم. كما زادت مسئوليتها برعايته . أراح رأسه للوراء متذكراً سبب ما يمر به عصره في الوقت الحالي من خراب جراء ذلك الجهاز، و ما تعانيه عائلته: وزاد انعزال ليل، و تغلق قلبه، و عبست ملامحه فاجتاح الهم فؤاده و بعد تكليفه بآخر مهمة له اقتلعت كل بذور السعادة بداخله. تزور البسمة وجهه على استحياء بينما لا تجرؤ على زيارة اسوار فؤاده، اما عن نفسه فشرع الهم و الكبر و المرض يحتلوا كيانه. أخبره الأطباء أن حالته تزاد سوء و يتوجب عليه الابتعاد عن أي مصادر تسبب له صدمة أو ضغط عصبي. لكن هيهات لما يطلبون يرى محاولات ابنته لتخفيف آلامه لكن دواءه لا يكمن في تلك العقاقير المميتة، بل في لم شمل أسرته. نزلت دمعة هاربة من مقلة عينه مرددا بلسانه "يا ألله ليتني ما اكتشف ذلك الحجر... اللهم أفرغ علينا صبرا".

لاحت أمامه صورة زمهرير على استحياء متخفية لكنه تعرف عليها فور رؤيتها، فاهتزت الأرض من تحت قدمه و تداخلت الأضواء في عينه وتألم قلبه بشدة .نادى ابنته لإسعافه يعاني من قصور في عضلة القلب منذ مدة. أسرعت إليه ابنته تعطيه أدويته لعلها تحسن حالته لكنها ساءت و تدهورت، فاستدعت رفيف الإسعاف علي عجل و اعتصر قلبها على حالة والدها التي باتت تسوء يوماً عن يوم. احتضنت الطفلتين تهدئ من روعهما و بكاءهما حتى خلدا إلى النوم باتت تبكي بجانب والدها المحمل على الأجهزة. و شفق من كانت تربط على قلبها اخبرتها انها شارفت على القدوم. أخبرها الأطباء أنه تعرض لصدمة حادة كادت تنهي حياته. بعيون دامعة في ظلمة وبرودة المشفى أمسكت رفيف بقدميها و وضعت رأسها بينهما تبكي على تغير حال عائلتها.

ولدت في عائلة مرموقة. ليس فقط من ناحية والدها، بل و والدتها فاحتلت صدارة أكبر الشركات بما قدمته في مجال الادوية. طورت الشركة بمساعدة مجموعة من النابغين الباحثين نوع من أنواع الأدوية التي تُعطى لتخفيف أعراض أعنف السرطانات و توابع علاجها المؤلم للمريض ومن حوله، ومن أهم مميزات ذلك الدواء أن جرعته يصعب إدمانها لذلك يتواجد بكل سهولة في الصيدليات المجتمعية، و تتميز بدرجة عالية بالأمان أشبه بالمسكنات العادية الذي يتناولها الجميع لا حاجة للمريض بالذهاب إلى

المشفى لصرف مثل تلك الادوية. أحرزت الشركة إنجازاً في ذلك المجال توج عناء ١٥ عام من البحث و التجريب. كانت الأمور تسير على وتيرة ممتازة: تقلدت والدتها منصب مديرة الشركة و كان هامان تلميذاً نجيباً و معاوناً ممتازاً لها. و مع وجود ذلك النوع من الأجهزة و فرض القوانين الجديدة باتت محاولة إدمان ذلك الدواء و سحبه وصرفه بدقة شديدة قليلة تكاد لا تذكر.

تذكرت روايات والدها العديدة عن الحياة قبل اكتشاف ذلك الحجر و تكراره لمقولته "لولا العقول المثمرة لما استطاع العالم القيام بتلك الحضارة ذات النوع الخاص " حجر بلون الأقحوان الأزرق نمى عن اكتشافه أفكار عدة علمية مثمرة ، كان ثورة في التاريخ الحديث أو أسطورة كما يدعى البعض، و أهم تطبيقاته هو جهاز الزنزانة الذي بات أكثر خطورة . الجدير بالذكر أن ذلك الجهاز وما يقوم عليه من إنجازات علمية ظهر مصدر طاقته الأصلية للنور على يد والدها. كان من القلائل الذين آمنوا بقوة الحجر، و كان له دور في كشف الستار عن قوته المحبوسة بداخله. اشتاقت لعمتها لم ترها منذ تكريمها على ابتكار طريقة جديدة لحمل ذلك الدواء و إيصاله للجسد، كانت فكرتها عبر حمل الدواء عبر موجات محددة تبث داخل الجسم و قياساً على ذلك أُتيح استخدام تلك التقنية لزيادة سرعة التعافي والاستجابة للدواء. كانت الحياة أجمل ما تكون تزوج أخوها ليل من تعتبره والدها وليس أخاها فقط، واستقر آسر و قرر عدم السفر، و تعافت والدتها من مرضها. ولكن قبل أن يتم تعافيها بشكل تام صدر تحقيق أن هناك جرعة يستخدمها المجرمون أثناء فترة التعذيب للتخفيف من الآمهم و تشتيت آلام الموجات الصادرة من الجهاز و زيادة طاقتهم العدوانية. كانت الأمور محل شك في البداية و بعد التحقيق جاء اليقين و قررت الدولة بعد ١٠ أعوام من نزوله الأسواق سحبه لمدة حتى يتم التحقيق في الامر، و بعد تحقيق تأكدوا من التلاعب به. أثر ذلك في نفسية والدتها، و تتابعت الصدمات حينما وجهت أصابع الاتهام إليها كانت أكثر المشتبهين بهم؛ فالشركة تحتاج سيولة و مع زيادة المبيعات، واعتراف ممول تلك الجريمة بأنها من اخبرتهم بتلك الجرعة تم الحكم عليها بالإدانة.

تذكرت ليلة القبض على والدتها وبكاءها بمفردها في تلك الظلمة. كانت ليلة عاصفة مطيرة لم تتناول والدتها طعامها بعدما كانت قد تعافت من ورم سرطاني قبل مدة ليس بالصغيرة لذلك تتابع معها طعامها وأدويتها بنفسها. بالرغم من إصابتهم بابتلاءات متلاحقة إلا أن الصبر و الرضا بقضاء الله و احترام ضيفه توج حياتهم و أثلج قلوبهم لمواجهة تلك المحن. كانت حالتها تسوء عندما علمت أنه لم يتم جدولته و حسب بل سُحب من الأسواق خوفاً من شياع الجريمة. و بعدما تناثرت سنين العمل مع الرياح تدهور ساءت حالة العائلة بشدة و ما زاد الطين بلة بعدما اعترفت والدتها أنها من اخبرتهم بالجرعة. استخدم المحامين أن حالتها النفسية ليست متزنة لذا لا يمكن الاعتراف بقولها. "ورم سرطاني في الدماغ" نسبة

تعافيه كانت قليلة في الماضي لكن مع تقدم العلم وإرادة الله ازدادت نسبة التعافي. يعبث ذلك الورم بقرارات صاحبه و يعصف بحالته المزاجية فتراه يترنح بين عدة مشاعر متناقضة. غير تأثيره على قدرته الجسدية. وقف الكثير يساندونها لم يصدق أي منهم تفكيرها مجرد التفكير في الأمر، وبما أن المصائب لا تأتي فرادى و كأنه درس لرفيف أن الدنيا دار اختبار لا حياة.

فقد الجهاز كلمة السر و حبست والدتها داخل ذلك الجهاز و كان الحل الأوحد هو الحصول على كلمة مروره التي فقدها الجميع و حُذفت كأنها لم توجد و كان أخر من سمعها هي والدتها. لذا حاول الكثيرون معرفتها و بمحاولة اختراق الجهاز توسعت الموجات حتى شملت المدينة و جزء مما حولها. ما كان العالم ليتألم باحتضان مثل تلك الأفكار النابغة لكنها كانت تفعل. اقترب موعد إعدام والدتها بعدما أُنهك عقلها بعد تلك المدة و كانت تلك المهمة من أصعب مهمات ليل.

لكن مع انتشار تلك الأفكار النافعة تأثروا أيضاً لما تحويه من أمراض نفسية و أفكار مدمرة يحاول كل منا السيطرة على نفسه بها. ولولا ضابط الدين و العقل لأهلكت نفس الانسان حياته منذ أول دقيقة يترك لها الزمام بها. هجرت العائلة المدينة وهجرت رفيف جزء من روحها و طفولتها و أمها بين طيات تلك المدينة. عادت الذكريات تعصف بها حاولت الاتصال بأي من إخوتها لكنها فشلت أخذت ركناً تجاه القبلة وأخذ تدعي وتتضرع لمن لا يغفل ولا ينام لعله يفرج كربها.

****

في السيارة

تعكر وجه نديم و زفر بشدة: ازدادت نسبة الأمان و لا استطيع اختراق النظام. بالكاد يمكنني اخفاء آسر. اما السيدة زمهرير فشوشتها بعض الشيء.

أضاف ليل بضيق:

_هامان يا لك من شيطان.

بعيون بها حيرة تكلمت زمهرير: ليل ! ماذا إن لم نجد الحجر؟!

اجاب ليل بينما يعبث ذلك السؤال برأسه : لا تقلقي سنجده. فلتتقي بي.

تفوهت على غير إرادة منى: دائما ما اثق بك.

تعجبت من ردت فعلي و تعجبت عندما رأيت ملامحه تخضع لابتسامة تتخل قسمات وجهه على استحياء.

تفوه آسر: وفقا لحل الاحجية فالحجر في الهرم او عنده لذا الحصول عليه لن يكون عسيرا. ثم أضاف بسخرية: لا ادري لما تأخر السيد ليل من لا يخطئ ابدا كل تلك المدة لحله. أحدا يمتلك عقله يحل تلك الامور بيسر شديد.

تعكر صفوه مجددا مضيفا:

_ نديم تأكد من إخفاء هذا الصغير بحذر.

ازدادت حرارة الموقف بينهما و غضب آسر من تلك الكلمة كاد أن يحرق السيارة ، لكنه تفوه بغضب يحاول إلجامه:

_هذا الصغير استطاع فك الشفرة دون أي آلة غبية معتمدا على عقله و حسب، كما أنه أنهى تلك اللعبة الغبية في نصف المدة.

أردف ليل:

_ و تسبب في إصابة ثلاث اشخاص بعاهة مستدامة.

اجاب باندفاع:

_ لم اجبر أحد على لعب تلك اللعبة المميتة و لم يتعرضوا للقتل.

ازداد عضب ليل قائلا:

_ ثلاث أسر تعرض رب منزلهم للبطالة و الطرد من العمل لأجل لعبة و تخبرني انك لم تقتلهم.

اردف آسر:

_ و ماذا افعل اتركهم لينالوا مني حتى يطمئن قلبك.

نظر له ليل متغافلا عن الطريق :

لا ما كنت اريدك أن تكون جزء من دائرة القذارة تلك قاتلا كنت أو ثم سكت لبرهة قائلا بصوت منخفض : أو مقتولا.

ازداد اندفاع أسر قائلا:

_ القتل افضل من التهميش يا سيد ليل.

فاق الأمر قدرتي على التحمل اعتدلت في جلستي لأوجههما، ثم نهرتهما بشدة كما لم يسبق لي من قبل كان رأسي كقدر يغلى بالدماء:

_ كلاكما توقفا عن الشجار ألا تخجلا من نفسيكما بدلا من أن تشدا عضد بعضكما ببعض تتشاجران كعدوين. أهذا ما زُرع بكما منذ الصغر. أين مشاعر الإخوة ألا تتذكران اي موقف يلطف من تلك النيران المتقدة التي تبيد كل رابطة و ذرة محبة بينكما؟! لما تزرعان الأشواك بتلك الشراسة. لقد نزغ الشيطان بينكما بقوة لا والله لقد ترعرع بينكما حتى تأكد من تأدية مهمته و ترك الباقي لتلك الهمهمات و الصرخات العالية. اي اخوة جمعت بكما، وإلى أي سحيق سيهوي بكما ذلك الشجار، و إلى أي جحيم هوت الشجارات الماضية... عار عليكما ألا تحترما وجودي ؟

حاول ليل التكلم فأشرت إليه مكملة بغضب:

_ لم أنهى حديثي بعد، ثم اخذت شهيقا كبيرا لأخفض من تلك النبضات المتلاحقة بداخلي و أصاب رأسي الالم من الغضب ثم تفوهت بهدوء مقارنة بغضبي السابق:

_ لتحطما تلك الألواح الجليدية بينكما قبل أن تصير جبالا و لا يرى اي منكما اخاه بعدها.

لوى كل منهما رأسه مكرهين و اعتذارا على مضض و بصوت خافت، ثم أضافت زمهرير بعدما عقدت يداها أمام صدرها : حتى نصل لا اريد سماع حرف يخرج منكم.

امال نديم تجاه آسر ثم أضاف : تمتلك تلك الشخصية منذ القدم .

وكزه آسر فتأوه على أثرها بغضب حتى سمعته زمهرير فنظرت نظرة جانبية متفوهة:

_اقصدكم جميعكم!

****

وقفوا أمام الهرم و اختبأ آسر بالسيارة كان الهرم شامخاً بهيئته المعتادة كأنه وجد ليحلق عالياً في سماء العظمة.

دقق آسر في الأبيات مرة أخرى مردداً بينما يحدثنا بالسماعات :

"في قلب الأرض تحت القاع العميق **ضوؤها يتلألأ في الظلام السحيق"

علينا اختيار أبعد نقطة عن ضوء القمر.

ثم ضرب رأسه قائلا:

_ أين تلك المنطقة بمجرد بزوغ القمر سينطلق لنا نمير؟!

أجابه نديم:

_ نقطة التقاء الخطوط الأربعة إذا اعتبرناها نقطة الأصل فبها يبدأ بحثنا.

عقبتُ قائلة:

_ لكنها داخل الهرم، والليل سيبدأ بالنزول ولن يتسنى لنا الحفر، غير أن تلك النقطة يستحيل الوصول إليها.

خرج ليل عن صمته قائلًا :

_ لما لا يكون الأمر أسهل من ذلك فيقصد بذلك المنطقة من الأرض التي لا يصلها الضوء مع بزوغ أول ضوء للقمر، فتكون المساحة التي يمتد ظل الهرم على أرضها و ستكون نقطة عمياء لا يجدوننا فيها بسرعة لنبحث هناك .

هز آسر رأسه قائلًا: أحسنت يا ليل....أقصد تبدو واضحة لا تحتاج هذا الوقت من التفكير.

تفوهت بتلقائية :

_ أطفال بزي راشدين.... كيف سنعلم تلك النقطة و نصعد إلى هناك.

قال أسر بينما تداعب يداه جهازا لوحي :

_ يظهر أمامي مجسم الهرم قديماً سأعد الحسابات ثم أعلمكم.

تفوه نديم بعدما قام بحسابات برأسه ويده على الأرض :

_علمت النقطة. لا تنسيا امتلك عقلًا فذا.

عقب ليل بسخرية:

_ لن ينساها طيلة العقد القادم أخبرتك أن تهتم بصفوف الفيزياء.

ثم توجه تلقاء السيارة فأخرج علبتين يفوقان حجم يده قليلًا، ثم أطلقهما في السماء فصارتا حقيبة يعلوها مروحية ارتداها ليل وحلق عاليًا. بدأت اعتقد أن تلك السيارة ستحتوي على مدينة أطلنتس الضائعة....

سيطرت أحلام الطفولة بالطيران على المنطق لدي وانطلقت أحلق عاليًا أفتح ذراعيّ أضم الرياح الباردة بكل جوارحي اعتلى الغضب وجه ليل و لحق بي يحاول إيقافي صارخا :

_لا تجيدين استخدامها توقفي الآن!! شغلي المكابح !

و بعد مناورات و صعوبة السيطرة عليها استجبت له وهبطت على الأرض رأيت علامات الخوف تسيطر على جوانحهم حتى آسر كاد يخرج من مخبأه. تمتم لي بكلمات لم أفهمها ثم قال:

_ هل تحاولين إصابتي بالجنون. كيف تتصرفين كالأطفال أنتِ انضج بكثير من ذلك. ماذا سيجري إن حدث شيء لك ؟ أنتِ جزء من سلسلة يجب أن تتم.

نبتت على ثغري ابتسامة بلهاء حاولتُ إخفاءها بين قسمات وجهي قائلة:

اعتذر أردت المراقبة من الاعلى.

أغمض عينه متمتمًا بذات الكلمات الغريبة ثم قال:

_نديم حلق إلي المنطقة المتوقعة و راقب من أعلى لتحذرنا من الأخطار، و أنتِ لا تتحركي من جانبي بينما يجلب الآلي الألماسة. سيأتي نمير في أي لحظة.

نزل الليل بعباءته و تسيد البدر السماء وشرعنا في تنفيذ الخطة حتى رأيت صاحب المطرقة يظهر من حيث لا نحتسب حتى نديم لم يدركه من عل. بدأ يصوب المطرقة بدقة نحوي هذه المرة، فطفقنا نهرب بينما نمير يحاول الوصول إلى الألماسة. حُدد الحجر و بدأ الآلي الحفر حوله كان الحجر مصمتًا جامدًا

لكن آسر أخبر بمواطن استخدمها في هرم سقارة حينما فاز في تلك اللعبة وبمجرد أن ضرب الحجر كشف ما به ولكنه فقد السيطرة على ما بيده و فغر نديم فاه صارخاً :

_ لقد سُرقت الألماسة و لا يوجد سوى ترابها.

بينما كنا نحاول الفرار من ذلك المتوحش و تجنب رمياته، فتارة يصارعه ليل، وتارة اتجنب رمياته حتى صُعقنا جميعاً لما سمعنا، و ما زاد الطين بلة أن الوقت شارف على الانتهاء و بين رمية وأخرى رمقته يتقدم وسط موجات الرمال لم استطع رؤيته و لكن سيفه كان يلمع تحت ضوء البدر، فتشت في جيبي لاستخدام دبوس السيانيد لكنني لم أجده أخشى أني أسقطته حينما حلقتُ في السماء. كان أخر ما رأته عيني هو سقوط نديم من السماء حينما صوب سيفه لإسقاطه من فوق تلك المسافة لا يحرك ساكنا، و تكبيل ليل، ثم ألم شديد برأسي جراء عقار حقن بدمي من ذلك المتسابق الثالث الذي لم نره قط كان فتى هزيلًا يرتدي قوساً يحاكي قوس ليل صوب تجاهي تلك الابرة فسقطت ملطخة بالرمال وكان أخر ما سمعته هي صرخات ليل وآسر.

الفصل الخامس عشر

الأضواء تتداخل في نظر سليم الرؤية تتضح شيء فشيء. بدأ يتمتم باسمها: زمهرير...زمهرير

انطلقت رفيف اليه تربط على يديه و تقبلهما قائلة:

_ بابا انا هنا جنبك الحمد لله إنك بخير.

خرجت الاحرف مبعثرة من فمه قائلا: رفيف انا لازم اخرج من هنا..

بعيون دامعة : حاضر يا بابا شويه و هنطلع بس نطمن عليك

تكلم بغضب رغم ضعفه :

_رفيف انا مش صغير لازم اخرج من هنا حالا.

_طيب عاوز تروح فين وانا اساعدك. إيه اللي حصل شوفت ايه زعلك للدرجاتي.

_يا بنتي بقولك لازم أخرج من هنا حالا. الأمر خطير.

علت أصوات الأجهزة و بدأ يدخل لي حالة تشنج فتدخل الأطباء لسوء حالته، ثم أعطوه مهدأ حتى تستقر حالته. مكثت رفيف بجانبه حتى شعر الطفلتين بالنعاس والارهاق، فحملت خديجة برفق و أمسكت يد نسمة حتى وصلا السيارة تفوهت خديجة بنعاس شديد:

_ جدو كويس؟

ربطت على كتفها: آه يا حبيبتي بخير إحنا هنروح لماما دلوقتي و نرجع نشوفه بكرة.

أضافت نسمة : احنا لازم نسيب جدو.. نستنى لبكرة هنا.

حاولت رفيق مجاراة الاطفال بالرغم من كونها تتألم لترك والدها:

_ طيب لو فضلنا معاه هيحصل حاجة ؟ نروح ونيجي بكرة علشان انتوا الاتنين تعبتوا، و ماما زمانها جاي يا نسمة.

تسير مضطربة وسط همسات الرياح بأذنها و قوتها التي تجعل طرف حجابها يحلق، تنظر تارة للطريق وتارة للسماء طالبة العون حتى وصلت إلى زوجة نديم و تركت الطفلتين هناك لكن زوجة نديم أصرت

على أن تبيت هذه الليلة عندها، و ما هي إلا بضعت سويعات وتذهب في الصباح لرؤيته. ولما رأت رفيف من حالة صديقتها من تدهور وزعر نتيجة رؤيتها لسقوط نديم من ذلك الارتفاع. اعتصر فؤادها آلما فمطمئنتها رفيف أنه بخير مادام لم يعلن بإصابته الخوف على تلك الفتاة التي وقعت بين فكي تلك الضراغم غدا سيتبين هويتها. أغلقت رفيف عيونها بعدما داعبت الصغير متمنية النجاة لوالدها.

****

انتهى مفعول المهدئ، فطلب سليم رؤية أحد أصدقائه العاملين بالمشفى، و عندما حياه طلب منه جرعة من العقار مغير الملامح.

اعترض قائلا: لا يا سليم انت عارف ده لازم له تصاريح ديه اعراض ناس.

تفوه سليم بصعوبة: انا بنفسي هخليه يجي يعمل التصاريح وإن داقت الدنيا اعملها انا.

اعترض مكملا: يا سليم انت في غنى عن كل ده ما يجي هو.

تفوه بيأس يحاول اخفاؤه : اصله مريض بيتعالج و خايف شكه ده يبوظ علاقته مع اسرته. علشان خاطري انا ديه خدمة إنسانية و ادي اسمي مقدما لو عاوز تخلص الورق بدري.

رضخ لفكرته ثم تابع: طيب اتصرف لك في جرعتين بكرة.

_ انا عاوز واحدة بس حاليا و التانية بكرة.

فرك رأسه ثم قال : صعبة يا سليم انا اقدر اجيبلك بالعافية بكرة

بعيون راجية تفوه : حاول تتصرف ضروري وتبقى سبب في استمرار عيلة كاملة. ولاده الاتنين و زوجته هيضيعوا لو عرفوا.

استجاب له قائلا: حاضر يا سليم.

شكره ثم تابع :

دلوقتي هو هيجي بس بلاش حد يعرف اعتبرها خدمة ليا انا. هيجي يزورني حاليا... معلش لو اخرتك على شغلك.

_تمام هجيبها لك دلوقتي. ولا يهمك المهم تفوق كده بنتك كانت تعبانة خالص وهي جنبك..اهتم بصحتك يا صديقي.

ذلك العقار كان طفرة من طفرات عصره في علم تحاليل الDNA وإثبات البنوة بالتحديد. بأخذ ذلك العقار تتغير ملامحك مؤقتا يلاحظ الفرق، بل لا يتعرف عليك من لا يحمل على الأقل ٩٠٪من جيناتك. تأخذ العقار و تدخل بين مجموعة من الأشخاص موحدي الزي ويدخل عليك طفلك مثلا يتعرف عليك بمجرد دخوله أما من لا ينتمي لدمك يجهل هويتك . زيادة الجرعة يطيل المدة لكنه يشوه من ملامحك فيجعلها غير مرتبة الحجم .

أخذ الجرعة متسللا للخارج حتى ابتعد عن المشفى يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة، وبعرجة قدمه، و الم صدره باتت تلك الخطوات أميال له. الرياح العاتية كانت اقل من تلك الزوبعة بداخله. يصب نظره للسماء مردد بعض الادعية ثم اختتمها بقوله : لست صالحا و لا أجد في جوبتي عملا يكون قويا لأدعوك به لكنك اغرقتني في سيل من النعم و اصبغتها عليَّ دون حول لي أو قوة، أشهدك ربي أني راض بقضائك عساه سببا في مغفرة ذنب لطخ نفسي لكني ارجو رحمتك بأولادي و أن تلطف بنا و تشعرني بلطفك فكم من بلاء اصابني و خبأت به لطفك، لكن نفسي و شيطاني جعلاني اتوه عنه. اللهم نجني من هول تلك المصائب المتلاحقة ما نجوت من مصيبة قط بعملي إنما برحمتك " اوقف سيارة أجرة مخبرا السائق أن الوجهة إلى الواحة بالسرعة القصوى. أخبره أن ذلك سيكلفه الكثير فابتاعه ساعته الغالية قائلا:

اطلع على "واحة الأصالة" بسرعة مفيش وقت.

صارت السيارات في المستقبل تحمل طابعا مميزا زادت سرعتها حتى اختصرت ساعات السفر، فما كان يأخذ قديما بالعشر ساعات تقريبا سفر بات مختصرا في ساعتين.

****

يجر قدمه متأوه من سقوطه مكبلا بسلسة تربطه بليل غطت الرمال ملابسهما وبدت علامات اليأس تشق طريقها على وجهيهما، حتى وصلا الواحة و حلت وثاقهما. يضيق ذلك العالم الشاسع على قلبه فيدهس دون رحمة، الضجيج يعم رأس ليل يجهل ما سيحدث لم تكن تلك المعضلة من ضمن مخططاته. إذا جاءت اللحظة المناسبة و علم الجميع بماهية زمهرير قد يحدث خلل أو فوضى عظمى. سيتم تجريمه

باستخدام آلة الزمن المحرم استخدامها. لن يفقد حياته وحسب بل حياة عائلته جميعا. كانت خطته الذهاب والعودة دون معرفة أي أحد سوى العاملين على المشروع، و الاهم من ذلك حياة زمهرير في خطر. يُعد نمير من أخطر المشاركين في تلك اللعبة. منذ هذه اللحظة انتهى دورهما من اللعبة لذلك سيخرجون حتى تعلن نتيجة القتال، إما فوز زمهرير، أو نمير. نظر إلى السماء بوجوم° كما لم يفعل من قبل لا حول ولا قوة به انتهت كل حلول الأرض الأمر متروك للسماء انتهت خططته و نفدت أفكاره صار عاجزا و فقيرا فدعا من قلبه كما لم يسبق له يعلم أنها تلك الحالة الأمثل لإجابة دعائه ما تركه الله قط و هو في قوة أ يتركه بينما انقطعت كل أسبابه!

أخرجه من حالته تأوه نديم التفت إليه قائلا:

تماسك حالما نخرج سيتم مداوتك، ثم ربط على يده : لقد كنت صديقا وفيا يا نديم.

أجابه نديم محاولا التخفيف من الم فهو يعلم ما يمر به صديقه:

_ لا تقلق سيرعاها الله بحمايته.

قابلهما أسر في نهاية الطريق وعلامات القلق تعلو وجه تكلم بندم:

_لو استمعت اليك من البداية لوفرنا ذلك الوقت و فكرنا بطريقة للهرب.

ربط ليل على كتفه قائلا:

_ لا وقت للتفكير في الماضي علينا إجاد طريقة لإخراجها معا الآن.

ثم أشار لنديم بالذهاب إلى المدينة حتى يتابع الاخبار وردود الأفعال و يبلغه بها، و تجنبا لوقوعه في المزيد من المصائب؛ حيث انه اعلن مسئوليته الكاملة عن الحدث و حمله نسمة امانة في عنقه. انطلقا صوب مقهى الواحة وعلامات الحزن تخيم على من بالواحة. حاول أهل الواحة مواساة ليل و تذكيره انها قد تمتلك القدرة الكافية على الفوز لكن ما كان يؤرق ليل هو معرفة الجميع بهويتها. تعاطف الجميع معها رغم جهلهم بهويتها فإذا علموا بهويتها ستحدث فتنة في الواحة كما لم تحدث من قبل قد يحطموا تلك اللعبة لمحاولة إخراجها، او بالأحرى قتلها.

°حزن يسكت صاحبه).

قال أسر متحركا لليمين و اليسار:

_ الحل الوحيد لإيقاف تلك المعركة هي الحصول على الألماسة و تجميعه كاملة هكذا ربحت في المرة السابقة. تلك الماسة تعمل كمفتاح لإيقاف ذلك الجهاز و إنهاء تلك المحاكمة العقلية.

التفت اليه ليل مستفهما:

_المرة السابقة؟ ألم يتغير اللغز ؟

_لا لقد تغيرت اماكن اخفاء الالماسة وحسب. ثم احتفظ هامان بالألماسة كاملة في خزانته ويعاود استخدامها كل مرة.

_هل يصل جنون هامان بسرقة الالماسة؟

_لما لا لقد تبينت حقيقته منذ أن احتل الشركة. استطيع استخراج تلك المعلومة منه، لكنني احتاج الي المزيد من الوقت قبل معرفة الجميع بهويتها.

وفي تلك الأثناء نزل من السيارة يهرول إلى المقهى يلهث من التعب و يعلو وجهه اعياء شديد.

صُدم ليل قائلا: أبي!!

اسنده ليل قبل أن يسقط و افسح الجميع له مقعدا تنفس بصعوبة و اخرج العقار من جيبه قائلا:

_جيد انكما ما زلتما تتذكران والدكم... ليل اعلم انك تجيد التسلل عليك بحقنها قبل البث المباشر تلك جرعة صغيرة لن تدوم لمدة طويلة لكنها افضل من لا شيء.

اخفض كل منهما رأسه ثم قال آسر مهللا :

حصلنا على الوقت سأذهب إلى هامان. و احصل على الالماسة.

منعه والده بعدما ترك الجميع المقهى لهم قائلا:

_ أ تذهب مجددا لذلك الخائن مثلما صنع أخوك! ثم اردف متحدثا إلى ليل "الذي غلب الشعور بالأسف وجه" قائلا:

_ اعلم أن هامان من أشار عليك بهذا الأمر ليؤدي بك إلى الهلاك. استخدامك لتقنية محرمة و تعريض المستقبل إلى الخطر برجوعك إلى الماضي و تهديد حياة زمهرير . كيف لك أن تقتنع بمثل ذلك الرأي؟!

قال ليل مدافعا عن نفسه:

_ حاولت اصلاح الأمر حتى ولو تحالفت مع ذلك الشيطان، ما كنت اجرء على تنفيذ الحكم.

قال سليم باستسلام واضعا يده على قلبه متألما:

_اذهبا الآن لتنقذا ما تستطيعان إنقاذه، و انا سأوفر سيارة لجلبها لذلك الجهاز.

****

شرع كل منهما في تنفيذ مهمته تسلل ليل وسط جنود الحماية، و بمهارة أفقد احدهما وعيه، ثم تقلد زيه، و مضى في طريقه يتمنى أن لا تتواجد بين طيات الحراسة المشددة و بالفعل كان الجنود يخالونها ضعيفة لن تهرب، و تحت تأثير تلك الضربة و المخدر لن تفيق إلا في المحاكاة، فبعد زيارة هامان لها أكد على زيادة جرعة المخدر لها. كان الجنود أجانب فلم يتعرفوا عليها. وجدها غارقة في سبات مكبلة اليدين. رق لحالها و لكنه سرعان ما ارتدى ذلك الوجه المصمت يراقب الطريق من خلفه بحذر يتصد جبينه عرقا بالرغم من برودة الطقس. ثم سحب ذراعها بقوة و وخزة العقار ليتدفق في عروقها. أوقفه أحد الجنود قائلا بصوت أجش:

_ماذا تفعل مع الخاسرة يا هذا؟

توتر ليل لكنه تمالك لسانه دون الالتفات إليه حتى لا يتعرف عليه قائلا:

_ اتأكد من تناولها العقار حتى تكون مستعدة للمنافسة غدا.

لم يكترث له الجندي واكتفى بتحذيره من العبث معها حتى لا يتأثر راتبه.

ازدرد ليل ريقه، ثم فر مسرعا من ذلك المكان. يحمد الله و يتمنى نجاح آسر متصلا بأحد أفراد الشرطة. و لما انهى اتصل بشفق لتجلب زي زمهرير فقد حانت لحظة تنفيذ مهمتها و عودتها لزمنها.

****

أما عند آسر فوصل إلى تلك الخيمة التي يمكث بها هامان فلقد اتى ذلك المغرور منذ مدة قصيرة ليشهد المباراة النهائية كما لم يفعل من قبل. سار متوعدا بقتله لكنه تمالك أعصابه قائلا:

_هامان يا رفيق الدرب و مشجعي الوحيد في ذلك العالم الموحش. كنت محقا ليل لا يعترف بوجودي.

قابله هامان بالبشر و بعض الكبرياء:

_ آسر مرحبا ايها الفتى الصغير. لم آرك منذ أخر مسابقة.

_تعلم تلك الجائزة سنحت لي بالسفر إلى بلاد عدة.

_تمتعت بسحر هؤلاء الاوربيات الفاتنات. يا لحظك تساعدك ملامحك على التسلل بينهم.

_دلال يا هامان لما لا تجرب السفر معي في المرة القادمة؟ سأوفر لك سهرة تنسيك لياليك الحزينة كلها.

رفع حاجبه متفوها:

_بمفردك دون موافقة ليل؟

_ذلك المتعجرف يحاول فرض سيطرته على حياتي لكن منذ أن ربحت وهو لا يخاطبني، و لقد تأكدت من حقيقة قولك انه يهمشني.

_تقصد منذ أن تركتك تربح ما كنت لتنجو لولا أن أخبرتك بمكان الألماسة، بارع بيد سحرية مثلك منعه من ممارسة تلك المهنة المربحة.

حاول السيطرة على لجام غضبه قائلا:

_ على ذكر الألماسة لقد خسر السيد ليل الذي لا يُخطئ الجولة لعدم تواجدها كما ذكروا. هل أخذها نمير قبله ؟

ضم كتفيه لأعلى متفوها:

_لا ادري ربما.

تحدث آسر بشك :

_اي انك لم تقدم له أي مساعدة ؟ تعلم ذلك المتعجرف يصيح قائلا انك من سرقتها.

نفخ سيجارته قائلا: اعذار الخاسرون.

_لم تتغير الألماسة أليس كذلك ؟

_لا اللغز ثابت حتى تباع تلك الالماسة بسعر مغري.

_حسنا دعك من ذلك ما رأيك بمرافقتي في رحلتي القادمة، فبعد تغير بشرتي هكذا سأسافر إلى أمريكا اللاتينية سأسر المزيد من الفاتنات بشباكي.

_ربما ارافقك لكن لتنتهي تلك اللعبة لا أخفيك سرا بالرغم من مساعدتي لك إلا ان اشتراك ليل اشعل الأرباح لذا قد اسافر معك. سيظل متفوقا عليك مهما تقدمت يا صغير. دعني اعد المنافسة حاليا.

_انتظر ردك لكن قبل أن يشعل الشوق قلبي لأروبا و جمالها.

عقب هامان ساخرا :

_ تقصد قبل رجوع لونك الباهت مجددا.

خرج بغضب جم انفجر حالما وصل إلى أبعد نقطة عن خيمة هامان، يردد سأقتل غرورك يا هامان قريبا سأدفنك في تلك اللعبة... أنت هو الشيطان بحق.

****

اجتمع ثلاثتهم مجددا و حينها قال آسر:

_ لقد سرق الألماسة لكنه يكذب.

سأله سليم : تعلم اين يخبأه؟

أجاب: في منزله بالتأكيد.

خرج ليل عن صمته قائلا: هل تذكر شكله؟

اوم آسر برأسه فأضاف ليل:

_ إذا فلتصنع واحدا مثله ثم أخرج من جيبه الجزء الذي وجدوه في الغابة.

اخذها آسر قائلا بارتباك :

_تبقى أربع ساعات على بداية المواجهة وهذا قد يستغرق اكثر من ست ساعات.

_اربع ساعات كافية لصنع واحدا مزيفا غير متقنا و إحضار الاصلي من منزل هامان قبل رجوعه.

تفوه آسر مبتسما: نديم؟

تفوه ليل بابتسامة جانبية: ليمارس موهبته في التسلل .

قال سليم مربطا على كتف آسر:

_ حسنا لتصنعه يا بني. بينما أحاول تمهيد طريق العودة، و توفير الطريق للسجن.

****

تواصل ليل مع نديم طالبا منه التسلل إلى منزل هامان و إرجاع تلك الألماسة لهم، ثم ختم مكالمته قائلا:

_أعلم انك على بعد عدة خطوات من منزلك لكن هذا اخر ما سأطلبه منك يا صديقي ولك حرية الاختيار.

تفوه نديم :

_ تغمرني افضال عائلتك بالتحديد والدتك. ما كنت لأكمل تعليمي أو ارتقى في تلك المنازل من دون الله ثم هي اعتنت بي في غربتي، وتكفلت بمصاريفي، و لم تفرق بيني و بينكم بشيء. أنقذت حياة والدتي من الألم بتطوير ذلك العقار، و حضرت حفل تخرجي حينما ارتقت والدتي إلى بارئها؛ حتى تضيف السرور إلى قلبي. حياتي التي اعيشها الآن لا شيء دون فضل الله ثم والدتك لذا لا أتردد في اعطاءها حياتي!. اندم على خزلاني لها ولم اقم بواجبي تجاهها او البحث عن طريقة لإخراجها من ذلك السجن.

تقدم نديم بحذر شديد منزل هامان تفوق على كل حراسه و بمهارة عطل كاميرات المراقبة سيطر على مكتبه في عدة دقائق فتش بين أغراضه حتى عثر على خزانته الخاصة أخذ بعض الوقت في العصور عليها لكنه تمكن من فك شفرتها يسمونه العقرب لبراعته، وبعد عدة محاولات ارتفع الادرينالين في دمه حتى وصل ذروته.. لمع بريقها بين يدي نديم أخذها و عطل الانذار و خرج كالشعرة من العجين لم يلاحظ وجوده اي من هؤلاء الجثث المرصعة بالأسلحة.

جاوز بوابة بيت هامان وكاد يصل إلى منزله يطير فرحا برؤية ملاكه الصغير "خديجة" ثم تمتم قائلا:

أعرج وتفوقت عليكم ايها البلهاء.

ومن موقعه و بيانات زي زمهرير استطاع تشويش صورتها حينما تظهر في المحاكي. سيتأخر ظهورها لمدة صغيرة لكنه هذه المرة أدى كل ما بوسعه. تمسك بالحجر بقوة عندما شعر بحركة بسيطة خلفه استدار سريعا فوجده يامن، تنفس الصعداء عندما رأه قائلا:

_ خضتني يا يامن!

بعلامات الدهشة على وجهه تفوه :

_ايه اللي جابك انتم خسرتم ؟

_للأسف... بس بصراحة عاوز انام دلوقتي احكي لك بكرة، بعدين انت بتعمل ايه هنا؟

_ انا كنت جاي اطمن على عائلة ليل.

_لا فيك الخير يا عم يامن دول في المستشفى حاليا، ومش خايف أن حد يشك فيك انك مع ليل؟

_مش مهم بعرف اهرب كويس

ابتسم نديم ثم تابع :

_تصبح على خير بقى علشان هموت وانام، و ليل قال انه شال الليلة فاهم النكتة.

بينما كان يسير لمع طيف الحجر من جيبه فأوقفه قائلا:

_ انت كنت عارف ان ليل هيرجع بالزمن.

تعجب من سؤاله لكنه أجاب: آه.

_طيب ليه يثق بهامان ما دام هو عارف أنه بيكره.

نديم بشك رافعا حاجبه:

هامان؟ انا مذكرتش سيرة هامان؟

_اصل معروفة مفيش حد يقدر يوفر "طابعة الأفكار" غيره...و بعدين من الغباء اني اعمل الحركة ديه بدون مقابل؟

رجع خطوتين للوراء قائلا : مقابل ايه؟

_هامان معاه فلوس وسلطة كبيرة حاليا و ليل برغم تعجرفه و غروره ملحظش أن العربية اللي اتصمم جواها الجهاز هي هي عربية السباق بتاعت اللعبة... يعني أن مامنتش من رحلة السفر ديه هيموت من اللعبة. وهامان هياخد الجمل بما حمل.

قال نديم بينما يرجع للوراء اكثر و يحتفظ بتلك الألماسة كأنها جزء من روحه:

خائن... انت اللي قولت لهامان على الفكرة ديه وانت اللي سرقت الألماسة، ولسة حاطتتها في الخزنة علشان كده الحراسة متحركتش كانت عارف إن في حد جو، و دبوس السيانيد، ثم شعر بنغزة في قلبه قائلا:

انت إللي كنت بتبوظ العربات اللي بنصنعها و سربت كلمة السر لهامان. ليه ده احنا أصحاب!

تغير وجه يامن إلى كرة من النار وعلا صوته بغضب:

مش هخلي هامان يخسر. بتخليها تموت ولا تولع عاجبك اللي وصلنا له ده اماكن مينفعش نتكلم فيها غير عربي ده لما حظك يبقى حلو ممكن تقعد بالايام مش عارف تنطق و كل شوية تتجدد القوانين و المرضى النفسيين زادوا و حالات القتل اللي بتحصل كل يوم ديه مش مخلياك عاوز الدنيا ترجع لطبيعتها. احنا مش في يوتوبيا يا نديم و مفيش شخص مثالي زي الاستاذ ليل أو اهبل زيك، في اهدف احسن من أهدافكم التافهة... قال نحسن العالم قال أنت عارف مافيش يوتوبيا اتوجدت في الأرض غير و انتهت بالخراب و اللي زي انا بقى دول اللي بيصطادوا الهبل اللي زيكم علشان يعلى لفوق جدا ويدوس على الكل.. مفكرتش ليه انا مسبتش الشغل بالرغم من اني قدامي فرص أكبر؟ لأني بشتغل لهدف واحد.. الفلوس يا نديم اللي هي كانت بتدور عليها في الاول ولما فشلت قلبت لأم الخير، و احبسوني و طهروا العالم من خطايا. شغل فاضي ملوش لزمة، كان هيحصل إيه لو خلت همان المدير و يمسك شغلها او كرمته في حفلة الزفت اللي حضروها، لكن هي خلت الأستاذ ليل مالك الدنيا و متكلمتش عن هامان بشلن.

تفوه نديم بعيون تحجرت بها الدموع من الغضب:

مكنتش اعرف انك مليان سواد كده، هامان هو اللي طماع و كان عاوز الشركة كلها لنفسه و هي اتكلمت عنه و ادتهاله بطريقة غير مباشرة علشان هي عارفة مرضها لكن بتأمن مستقبل عيالها، و الباشا اللي مشي زعلان من الحفلة كرمته بردو بس هو كان مشي، ومن امتى حد بيدير الشركة غيره لكن هي حست فيه الطمع.

سار يامن تجاهه بعض الخطوات متفوها:

_كلمة السر اللي مدوخة الكل من سنين هي "شبابها" علشان كده هامان اقترح الفكرة ديه على ليل و علشان يهرب السيد المثالي من ذنب قتل امه بإيده قرر يخاطر بحياته و كل حاجة و هامان شافها فرصة يخلص بيها من الاثنين، لكن الحظ كان معاه و نجى.

ضرب نديم رأسه عدة مرات ثم تفوه بأسى :

انا اللي اقترحتك على ليل انا اللي وثقت فيك بالرغم من تحذير الكل ليَّ انا اللي كبرت بدرة الشر ما بينا، علشان كده انت كنت عاوز تشترك معانا من الاول، وروحت بلغته بالاخبار... ده احنا اصحاب يا خاين.

ابتسم يامن بخبث ثم بدأت يداه تتحرك ناحية جيبه:

_ انا بصاحب الشهرة و الفلوس يا نديم و هامان وفر لي الاتنين يبقى هو اللي يستحق ولائي و مش هخليك تبوظ كل ده يا صاحب النوايا الحسنة... و بخصوص دبوس السيانيد فعمرك جربت المه؟

هجم يامن على نديم يحاول قتله تصدى نديم لمعظم محاولاته وبالرغم من إصابته متجاوزا له بقلب متهشم من صديقه المقرب متفوها:

انت بذرة الشر يا يامن ولازم تموت علشان متنتشرش حتى لو كلفني الأمر حياتي تبقى فدا العائلة اللي كبرتني والمكان اللي كبرت فيه.

ثم اقتنص العملة منه ليجرحه بها لكن سبقته طعنة سلاح يامن الذي اخرجه من جوربه جعلته يتأوه بألم جم و نفورة الدماء تنفجر في الحال، وما لبث حتى استمر بطعنه حتى غطت دماء نديم الألماسة الذي ما

زال يحتضنها كقطعة من فؤاده، وغارزا الدبوس على غفلة من يامن بكل ما لديه من قوة بجسد يامن فسقط يتشنج من الألم.

بينما زحف نديم تجاه منزله مستغيثا بزوجته فخرجت على إثر تلك الصرخات و تبعتها الطفلتين و رفيف الذي لم تغمض عيونها إلا قليلا. صرخت زوجته عندما رأت الدماء تخرج من بطنه و أسرعت في احتضان رأسه تصرخ طالبة النجدة.

نبتت على ثغره بسمة ممزوجة بالدماء يهدئ بها زوجته اشار إلى رفيف لتمسك الألماسة مخرجا الاحرف مبعثرة:

_الواحة.. مفيش وقت .

أغمضت رفيف عيون الطفلتين لبشاعة المنظر لكن خديجة احتضنت والدها تبكي دما كأمها التي فقدت صوتها من الصراخ، و رفيف التي خارت قواها، فسقطت على ركبتيها. لم يتحرك احد لنجدته فالجمع في الساحة لمتابعة الجولة النهائية.

فأحتضن نديم بقوة ابنته التي طال شوقه لها ثم طبع قبلة ممزوجة بالدماء على يد زوجته ثم رأس ملاكه الصغير و فاضت روحه إلى بارئها. كانت الأرض شاهدة على الوفاء و الخيانة معا فأبت أن تلوث بدم الخائن الذي ظل يتلوى الما حتى تحجرت عينه. ارتعدت السماء وبكت بشدة حتى اختلط ماء المطر بدمه ليسر الطريق مجرى لبحر دماءه فيكون شاهدا على:

أن عهود الصداقة لا تكسرها إلا الدماء.

الفصل السادس عشر

رنة كلمات زمهرير بأذن ليل كيف له أن يترك لذلك الشيطان هامان بالتدخل بينه و بين أخيه ماذا عن رفيف من حملت فوق عاتقيها ما لا تطيقه في تلك المدة السابقة؟! فطرق الباب:

_هل تسمح لي الدخول!

آذن له آسر بينما ينهمك في تصميم الألماسة و يرتب أبعادها لتطبع مباشرة على الحجارة أمامه غيره أنه صنع نموذجا مصغرا بيده. اعجب ليل بعمله فتفوه:

_ احسنت صنعا ايها الصغير.

امتعض وجه آسر قائلا:

كانوا سيلقبونني بالسيد آسر صاحب الايد السحرية في الأسواق العالمية .

رفع ليل حاجباه :

_حقا؟

_ أجل احمل الكثير من المواهب لكنني اعاني التهميش في عائلتي وحسب.

اقترب ليل من آسر مربطا على كتفه متغافلا عن تلك الكلمة التي تشعر غضبه قائلا:

لم تكن مهمشا قط. اعتذر من شعورك بذلك، لكن انت لست اخي الصغير وحسب انت ابني الذي لم انجبه. خيفت من توريطك بمثل تلك المشاكل، لكنني اثق بك الآن بكل جوارحي يا اخي، سننقذ والدتنا معا من ذلك المحاكي و من تلك الزنزانة ولمعلوماتك كنت من سينفذ الحكم لذا اعتزلت العالم و ليس أنت، ثم هم بالخروج فتفوه آسر:

_ ليل! لم ارتكب اي ذنب مما وصفته لهامان قد كان استدراجا لا اكثر، ولم اكن اعلم تلك الصخرة التي حملتها على صدرك طيلة المدة السابقة.

لاحت ابتسامة جانبية على وجهه قائلا:

اثق بك.. سأحاول التغير لأجلك يا صغير.. اقصد يا سيد آسر.

ارتسمت ابتسامة بدورها على ثغر آسر ثم تابع عمله.

****

بدأت قطرات المطر تزين ارض الواحة و اختباء القمر فهذه أخر أيامه كبدر وراء الغيوم ليظهر طيفه على استحياء قابل ليل والده في الخارج اطمئن على صحته ثم سأله:

_ كيف عرفت بوجودها!

اجابه سليم بصوت يملأه الحنين:

_ كدنا نصل للعام ٣٥ معا و تخال أن بعض الوحل سيجعلني اتوه عنها. اذكر اول لقاء لنا التقيت بوالدتك كانت بمثل ذلك السن تقريبا مرحة تحب المغامرة والكتابة بشدة ،فتقف محتارة بين الأدوية و نظرة عينيها دوائي !

أضاف ليل: لله درك يا ابي. لطالما حاولت أن أنشئ عائلة متماسكة مثلك، ثم ابتسم : لكن والدتي متهورة.

_تهورها كان أكبر عارض في حياتنا، لكنها كانت طيبة الجبلة تدهش العالم بكتابتها و بكلمة صغيرة تصل إلى أعماقها. اشتعل شوقا كلما تذكرتها، وألما كلما رأيتك. ما كنت اغضب أن تتدخل في قصات شعرنا فقط لتكن سعيدة سأكون فرحا.

ارتسمت ابتسامة على وجه ليل مبعثرا لشعره:

_ علقت على شعري منذ أول لقاء.

فرك سليم جبينه قائلا:

_ في كل يوم اندم على اكتشاف ذلك الحجر.

واسه ليل:

لا عليك يا ابي لن نغير الماضي ولا المستقبل علينا تغير حاضرنا وحسب.

ربط سليم على كتف ليل قائلا:

ليل صغيري لقد تحملت اكتافك اكبر من قوتك لكن هناك شيء قد تود معرفته. كانت والدتك تشاركك كل شيء؛ حتى تكون سندا لها ولأخوتك، لكنها اخطأت لجعلك تحمل كل تلك الهموم الطاغية على ملامحك. لما لم تصارحني يا بني؟ انشغلت بتجميع المال تاركا افضل الثروات تهلك بين يدي.

اطال ليل النظر للنجوم ثم قال :

_لقد اصبح الامر عاديا يا ابي لا تهتم. لا اريد أن احملك هموما فوق همومك، لم نهلك أننا ننضج.

_اريدك إن تقرأ تلك الكلمات بعد ذهابي، لكن اخبرني كيف اقنعتها المكوث معك طيلة تلك المدة؟

قال ممازحا ابيه:

_ أخبرتها اني زوجها، و صدقني لا اريد التجربة .

نكزه قائلا:

ماكر يا هذا! وكيف استقبلتها شفق؟

وضع يده في جيوبه قائلا :

_ شفق كانت اختي لكنها لم تصدق، و كان عليك رؤية كذبة آسر اخبرها أنه أخوها من الرضاعة.

قهقه سليم ضاربا كفيه:

_ زمهرير تكتب روايات بوليسية و تصدق مثل تلك الكذبة التافهة لا تجاري كاتبة في الخيال يا بني، لم أفكر في الكذب على والدتك لأنها تعرفها من أنفاسنا، و آسر لم يجد كذبة أفضل؟

_ هذا ما خطر ببالنا لقد اعتدت أن أمي أكثر نضجا من ذلك لكن الأمر اتضح اني اخذتها في سن التهور. خيلت اني سأغضب من فعلتها و سأكون صارما طيلة الوقت، لكن فؤادي عذبني طيلة الرحلة...نظراتها لي و بسمتها ... كلماتها التي تنطقها على غفلة. أحكمت أغلاق يدي لكي لا المسها فتبدأ بالشعور بتلك الذكريات، لكنني فشلت اظن ان تلاقي العيون كافيا بإشعال تلك الشعلة. لما فعلت ذلك يا ابي؟ ألم تفكر بنا وحياتنا، و لما تناست ما قامت بذرعه بداخلنا، أيفتن المال المرء لهذه الدرجة؟ ولما تهورت باعترافها منذ اول محاكمة؟

_لطالما كانت متهورة لكنها تسيطر على نفسها؛ حتى تظهر بصورة أفضل امامك و الأمومة علمتها كيف تمسك ذلك الزمام.. اتعلم يا ليل أحبت أمك الفراولة و انت و عندما تعارضتما اختارتك انت... لكن هذا سر بيننا. سأدخل إلى الخيمة بينما تنتهي من قراءة تلك الكلمات، لم تريد ان تقع بين يديك الآن، لكن عساها تطفئ ما بداخلك من حيرة.

طفق ليل يقرأ:

مهلا الحياة تصب اصباغها على فتارة تكون ملونة مبهجة، وتارة سوداء قاتمة و الأسواء هو لونها الفاتر. يبدو أنها بدأت بصبه للتو لون فاتر بلا روح أو حياة . اتملص من تسربه الي أوردتي الي روحي ونفسي لكن بلا جدو يستمر بالانسياب بدمي وفي النهاية يسيطر على فأصبح فاترة لا يبهجني فرح، أو يبكيني حزن كنغمة بلحن ثابت لا أراه حزينا أو فرح. انكمش على نفسي في جزء مظلم بارد كمشاعري تجاه العالم واناظره من بعيد كأني اشاهد فيلما أعرف نهايته وأكره أحداثه لكني مجبرة على مشاهدته. فيبقى سؤالي الأبدي كيف اضيئ تلك العتمة بداخلي واين سبيل الهرب من بين فكي ذلك الليث الجائع .؟!

تسمون تلك العقاقير علاجا لمثل حالتي! ويحكم تعبث بعقلي لتجعلني اترنح بين سرور، و حزن، و نشوة، و فتور. اين انا من بين تلك المشاعر المصنعة؟! اين انفعالاتي الحقيقة ولما يعبث بي عقلي لهذه الدرجة؟! لولا لقائي لربي خمس و معرفتي بأجري جراء هذا العناء لتمكن الشيطان من دفعي و سحبي الي هلاكي. اتخبط بين افكار سوداوية مهلكة تارة وبين يقين بأن نجاتي ليست بالبعيدة عن قدرة الله؛ فمادام يقيني بالله يقيني من تلك المهلكات فلا بأس، و ما دمت أعلم اني في اختبار فأنا بخير فما الدنيا الا اختبار، و لعلها حجة القى بها ربي.

صغيري ليل اشتد عوده قبل أوانه اصبح رجلا بمعنى الكلمة مقداما، وشجاع، ويهاب الله، ويسعى لرضاه. تلطخت معالم وجه ببلوغ تاركا مسحة من البراءة مشوهة في قلبه. بلغ و تحمل المسؤولية قبل أن يبلغ عقده الثاني، يرعى إخوته، ويهتم بهم. اثقلت عليك صغيري الحمل أردتك أن تهتم بأخوتك فأصبحت انا من تحتاج اهتمامك ورعايتك. كنت صلبا صامدا فتغافلت عن ذاك الطفل بداخلك رأيتك خائفا من تكرار تلك السلسة فكنت سببا في تأخير زواجك، لكن زوجتك جميلة شاكرة و رحيمة وعطوفة بحق فدعها تهدئ من غضب الطفل بداخلك. بني لقد كنت اقربهم مني منزلة؛ لذا اتخذتك خل وليس ابننا فكنت مخبأ لأسراري. اعلم أن صدمتي شديدة لكنني اقسم لك اني لم اغضب الله و اعطي تلك السموم

ابدا. تطور الورم بدماغي الأطباء يقولون ان جسدي سينهار تدريجيا لذا افضل اصلاح العالم قبلها. بني لا انعي نفسي علي فقدان صحتي أو فقدان قوتي، بل فقدانك واخوتك و فقدان الأنس بكم . و بزوجي الغالي سليم رفيق وشريك عمري و فارس احلامي. إن كان رزقي في الدنيا تلخص به فانا راضية. أريد أخبارك بسر صغير بخصوص لعبة الغابة.. أنا من اخترت ذلك اللون الأبيض لقائد الفريق؛ لأني اعلم انك تحب القيادة و مولع بالسيارات و ذلك اللون يزيدك وسامة يا صغيري.

أُغرقت عيونه بالدموع و تزايد علو و هبوط صدره متفوها بانكسار:

_ لقد ظلمتك يا امي ظننت أنك تركتي ما ترعرعت عليه و سربتي تلك الجرعة لإنقاذ الشركة من الإفلاس...يا لي من مجرم بحقك. ارجوك سامحيني لقد ظلمتك و ما رعيت أمانتك بصدق و جعلت ذلك الشيطان هامان يزرع بذور التفرقة بيننا، ثم وضع يداه على صدره فقد كان قلبه يختلج هامسا:

_لقد اشتقت إليك يا امي.

****

أتت رفيف مملؤة بالدماء تحاول طيلة الطريق الصمود و لم شتات أمرها لعلها توصل تلك الأمانة. جفت دموعها من البكاء على نديم و كانت طيلة الطريق تدعو له بالرحمة و المغفرة، فتجفف دموعها و مفعلة للقيادة الآلية؛ لأن حالتها لا تسمح لها بالقيادة. ظل ذلك السؤال يتردد صداه في عقلها و يتملك جوارحها. لما ؟!

لما ضرب يامن بصداقتهم الحائط و لما خان عهودهم ؟! لقد نال جزاءه من جنس عمله قتل وحيدا مذموما محملا بذنب شنيع كالقتل. لاح أمام شاخصيها والدها فهرولت تلتقط أحضانه بجسد مرتعش و قلب خافق. فصعق والدها حينما لاحت أمامه، لكنها طمأنته أنها بخير و أخبرته بمصدر تلك الدماء فأصر على عدم إخبار ليل بالأمر؛ حتى ينتهي من مهمته ، ثم سحب رفيف يطمئنها بين اضلاعه لعلها تهدئ. و قد خارت قوة قدمه على حمله من هول الصدمة.

أخذ سليم المكلوم الألماسة إلى ليل يكتم بداخله بركان حزنه على نديم من كان ابنه الثالث ثم تفوه:

الألماسة يا بني.

تهلل وجه ليل قائلا :

_احسنت عملا يا صديقي... اين نديم؟ كاد يكشف امري طيلة الرحلة.

حاول المراوغة من سؤاله قائلا :

هيا ستبدأ المحاكاة بعد ساعة فلتستعجل أخاك.

و في تلك الأثناء خرج آسر يحمل الألماسة يتصبب عرقا قائلا:

لقد فعلتها! هيا لا نمتلك الوقت.

دفعهما سليم قائلا: هيا انطلقا و لا تعودا بدونها.

لاحظ ليل تغير والده ودار بعينه بحثا عن نديم، لكنه اسرع؛ حتى لا يضيع الوقت.

****

في غرفة يعلوها شاشة ضخمة تفوح منها رائحة الموت وضعت زمهرير موصلة بخوذة بالكاد تغطي رأسها ويملئ جسدها العديد من اللاصقات لتصف كامل الاحساس الذي تشعر به داخل المحاكاة. و زاد اشتعال هامان حينما علم بتناولها لذلك العقار و عبث نديم بالآلات لتشويش صورتها ربما كانت اخر أعمال نديم في هذا العالم، فحاول حتى آخر لحظة من حياته مساعدة تلك العائلة.

دخل نمير في غرور: شاب في اوائل العشرين من عمره تعلق بتلك الشخصية الخيالية في روايات زمهرير، فأصبح يُكنى بنمير، و ما زاد من تعلقه و سيطرة الشخصية عليه هي تلك اللعبة المعروفة بالغابة، فقتل و سفك دماء الكثيرين، و تميز بذكاء و قدرة كبيرة على اختراق الأجهزة، فكان من عطل أجهزة نديم في البداية. جلس على كرسيه بغرور، و حيا جمهوره قبل أن يغمض عيونه ليلتحق بتلك المحاكاة.

تقدم هامان بخيلاء بين الاثنين وقف وألقى القانون الوحيد في اللعبة أنك تدخل بهيئتك بما تحمله من أسلحة، و أما زمهرير فنظرا لمقاومتها لنمير بيدها اليمنى ستبتر من المحاكاة ثم حي الحشود التي كانت تتابع الشاشة قائلا:

_مرحبا بكم في آخر جولة في الغابة.

ثم انطلقت المحاكاة.

الأضواء تتسلل ببطء إلى عيني ازيح ستائرها بصعوبة، والألم يخترق جسدي زلزال من الوهن يدب بداخلي، وكلما اتسعت عيني كلما فتت الصداع رأسي.. الرؤية تتضح سماء صافية قطعت صفحتها بعض الغيوم الشمس تبعث اشعتها بشدة لتجعل حرارة الطقس مناسبة إذا كنت تحب أن تُطهى حيا، وضجيج يعم المكان، و الم فاتك بذراعي. نظرت إليه بينما حاولت النهوض متكئة على ذراعي لأفاجئ بأني لا أملك سوى واحد! اصابني الذعر اين الدماء ذراعي مبتور من المرفق ويرقد بجانبي بينما يوجد صفر قطرة دم!! والأهم كيف حدث ذلك؟ لقد كان الجو باردا ليلة أمس!! اظن انه تلك المحاكة تزيد من صعوبة المرحلة. فكانت شديدة الدقة اشعر بذلك الألم و أشعر بالضجيج لا وقت لتأملي علي الهرب قبل أن تحرقني الرمال الملتهبة، لكن هذا كان اقل ما يقلقني؛ لأنه سرعان ما تبين حقيقة الضجيج، هتاف مجموع من المشجعين من كانوا يصرخون بشدة: اقتلها قطعها إرباً لا تكتفى بذراعها نريد الاحتفال بتعليق رأسها. يحيون رجل طويل القامة والشعر، و عريض ما بين المنكبين يرتدي رداء طويلا أقحوانيا ازرقا ممسكا بيده سيف يتوهج في أشعة الشمس ويعلو رقم" ٩٩" غائر مطلي باللون الذهبي يتألق روقنه في ضوء الشمس.. تمحصته وبدا مشوشا بعقلي يخال لي معرفته استدار وتأكدت شكوكي أهذا حقا هو نمير!

أنه أحد الشخصيات من أحد روايات المبعثرة في عقلي ومكتبي، لكن لم يحدث أي من ذلك في الرواية والأهم أنني اذكر دوري جيدا لم اتخطى حدود كوني من تخيلته وحسب! على الأقل اعلم اني سأتمكن من انهاء تلك الروايات في يوم من الايام . بدأ بالتقدم تجاهي وهو يجر سيفه ويحدث خطا في الرمال تحته ، وابتسم ثغره ابتسامة جانبية، ثم رفع سيفه ليزداد توهجه في الشمس متفوها:

_ كان يتوجب عليكِ المواجهة لكنك آثرت الهرب .... فلتتذوقي طعم سيفي.. سأكون سعيدا بإضافة الرقم ١٠٠ على سيفي بنحر عنقك ايتها الغريبة.

احاول الهرب بكل ما أوتيتُ من قوة حتى تسلل ذلك الشعور مجددا إلى أوردتي شعوري بالعجز لم تفلح السخرية من تخطي الامر، فكان حبل نجاتي هو كلمات تلك السيدة من الواحة علينا المحاولة مجددا وبطريقة مختلفة. لذا استعنت بالله واستعملت عقلي و ضربته في قدمه أسقطه أرضا، و من ثم استخدمت ذلك القوس عليه ليتم تخديره، لكنه باغتني بتصديه لسهمه، فاستمريت بالهرب افكر في طريقة

أخرى حتى جال بخاطري حديث ليل عن ميزة الأسلحة بتتبع المنافس فاستخدمت خدعتهم امام صاحب المطرقة فتفوهت محاولة استفزازه:

لا يليق بك ذلك الاسم فنمير أمتلك قدرة كبيرة على التصويب أما انت فتحتاج أن يقف أمامك عدوك لتقتله عار عليك تشويه سمعته!

اظن أن الخط نجحت بشكل أكبر مما تخيلته فما لبث حتى صوب السيف تجاهي بقوة فحاولت الركض والالتفاف حوله حتى جرحه السيف جرحا بالغا في صدره و بينما كنت استعد بالهرب مجددا لكمني بمقبض سيفه فسقط أرضا مجددا، وحينما كاد يُجهز على ما تبقى من حياتي... توقفت المحاكة فجاءة و نزعت تلك الخوذة من رأسي ما زلت لا أشعر بذراعي و زاد ألم راسي طلبت المساعدة لكنهم لم يعوروني اي انتباه. الالم يشتد بي ولا احد يبالي ما زلت أشعر بالآلام تعم جسدي فلم يستطع عقلي المواصلة ففقدت قوة قدمي و سقطت على الأجهزة حولي فتورم رأسي.

****

حينما سلبت المحاكاة تركيز الجميع شرد هامان فجال بخاطره ما مر حينما وقعت زمهرير بالأسر.. كان أول من ذهب لاستقبالها. امر بإخلاء الخيمة، ثم انفرد بها لدقائق تقدم إليها بقدم متثاقلة حتى جلس امامها مبتسما بمرارة محدثا إياها:

"اهلا يا دكتورة انا قريت كتاب جديد و عاوز اناقشك فيه"

أتتذكرين تلك كانت من الكلمات المفضلة لي حينما أتوجه إليك في الصيدلية... كنتِ بنفس السن غالبا. ترددت زياراتي لكِ منذ أن تمكنت تلك العقاقير من أداء مهمتها و تعافيت من مرضي. كنت كالنجمة الساطعة في سماء احلامي و هدفي ان اصير مثلك، فتقلدت تلك المرادفات التي استخدمتها، و نجحت في جذب انتباهك لي. في بداية الامر كانت الحياة تسير بوتيرتي المفضلة كنت امتلك العقل و انت تمتلكين الارشاد فصنعنا نموذجا مثاليا للمعلم و تلميذه. مدة قصيرة حتى انشغل عقلك بأعمال عدة، و خطت علامات البلوغ اول كلماتها على وجهي، فندرة تجمعاتنا لكنك كنت الوقود المحرك لي. تشابهت دروب حياتنا و لا انكر فضلك في نجاتي و تفوقي في معظمها، و تحقق حلمي في ان أكون مثلك. كانت حياة رائع حتى تحقق حلمي الذي صار أكبر كوابيسي ..(عملنا معا) . تقدم خطوتين تجاهها ثم أضاف :

هل يمكنك انكار اني أول من ساندك في مشروعك ذاك؟! هل يمكنك انكار اني من شهد افكارك منذ أن كانت في المهد حتى رأت النور؟!. لكنك لم تقدري جهودي و رفضتي الانصياع لأفكاري حينما اخبرتك ان نصنع جرعة لهؤلاء القتلة. فنسوقهم و نتسيد عقولهم و يصبحوا طوع ارادتنا.

زادت حدة صوته مكملا :

كنا نمتلك القدرة و المعرفة، لكن تجمد عقلك و جعلتني مجرما حينما أخبرتك. هل أخطأت حينما كنت اريد النجاة لشركتنا من الإفلاس باستخدام عقولنا وتلك المعلومات الكامنة به؟! لا لم أخطأ حينما سرقت تلك الصيغة من عقلك. كنت تريدين الموت و تلك اللؤلؤة كامنة بين طيات عقل المتحجر. لما لا نبيع جزء من مبادئنا فالجميع يتغيرون، و لما لا نتغير، و لما نخسر و نهلك بينما نملك القدرة الكافية على سحق الجميع.! لا يستحقون الحياة ، هذا العالم لا يستحق الشفقة عالم موحش و قاسي يجد أضعف مضغة بك فيسحقها بكل همجية، يدمرون كل مشاعر رحمة بنا ثم يلومونا على تدميرهم، وانا لا احب ان أكون ضحية له، بل أريد أن كون ذلك الجحيم الذي يدمرهم جميعا. هذه هي حقيقة العالم يا دكتورة و تجسدت في الغابة أما قاتلا او مقتولا. كلانا يعلم مصير هؤلاء القتلة مصيرهم الهلاك بجرعة زائدة او تحت تأثير تلك التركيبة الجديدة. و لما نرحمهم بينما هم لا يرحمون أنفسهم أ نكون حرصين على أنفسهم أكثر منهم؟!. أنت المخطئة حينما وضعتي ذلك السر بين يدي دون تفكير، ثم بعد ذلك حاولتِ خداعي بأن الصيغة مزيفة. لم أكن اريد قتلك اردت السلطة و المال و انت! ، واردت استمرار دعمك لي و الارتواء من أفكار عقلك الفذ، ولكنك فضلتِ ذلك المغرور ليل... تريدين سحب ذلك البساط المليء بتضحياتي و تقديمه على طبق من فضة له... لكن أنظري بطريقة او بأخرى امتلكت الشركة و الجرعة و لم يخسر سواك! يحزنني أخبارك أنك لم تمتلكِ عقلا فذا، بل امتلكتِ عقلا متحجرا. لم ازرع الفتنة بينهم لأجني مقتل أحدهما لذا ساعدت آسر في المرة السابقة و لأكد لك أني مازالت أحافظ علي سنين الود بيننا حاولت تفرقتهم لكي لا يستولى أي منهما على ثمرة عملي في تلك السنين الماضية، و بالرغم من تهورك في ذلك الحفل و إعطاء ليل كل الشكر لا بأس فتلك الأموال التي وفرتها الجرعة كفيلة بإرضاء ذلك القلب المنكسر. اراك بالمنافسة يا دكتورة.

ثم انصرف بعيون مظلمة تنظر للفراغ و بقطعة حجر محطمة بين صدره.

****

تسلل ليل بين الحضور ثم إلى غرفة التحكم تعرض للمقاومة في البداية، لكنه تغلب عليهم أو شد انتباه أكثر الحراس إليه كاد يضع الالماس في مكانها المناسب حتى يوقف اللعبة فقُبض عليه و أُحضر إلى هامان مكبلا.

عاد هامان لرشده علي زيادة تهليل الجمهور و عموم الضجة حتى و جد ليل مكبلا أمامه استشاط غضبا متحدثا:

كم مرة يتوجب عليَّ قتلك لأستريح من تدخلك في أمور لا تعنيك! فاشل مثلك يتسلط على امثالي... ماذا أنجزت في حياتك ماذا قدمت للعالم حتى تمتلك ذلك الغرور و الكبر؟!

تمالك ليل زمام غضبه متحدثا بصوته الرخيم في اندفاع:

بل انت فاشل يتسلى على تعذيب الآخرين... ستظل مجرد ظل عابر لنا يا هامان لن ترتقي لأعلى الدرجات كما تظن. أخذت الشركة بعدما ذهبت والدتي و استوليت على تلك اللعبة السخيفة... انت كالمتشرد تأكل القمامة، فتنال الأشياء بعد زهد الناس بها أو تغافلهم عنها.. أخبرني ماذا قدمت للعالم أنت سوى الفساد و الدمار؟! بل ماذا قدمت لنفسك حتى تقف به بين يدي الله حين يسألك؟! لما عضت يد والدتي بعدما عاملتك كابن لها بل أكثر.

لكمه هامان بقوة ثم قال بصوت يشبه حفيف الاشجار:

والدتك السبب... ظننتها قدوتي و مثلي الأعلى. كانت في صيدلية حينا تحاور الجميع ،وتسمع مشاكلهم، و تنال دعواتهم المتناثرة، فتعلقت بها وأنا ابن العشرة وأمضيت طيلة حياتي أحاول أن أكون مثل ظلها...ما كانت لتصل لمكانتها لولا جهودي

ثم استمر في لكمه مخرجا كل ما بصدره من ألم و عذاب قائلا:

_من أخبرني إن المجد هو قدري !

من جعلني ادرس حتى فقدت قوة عيني!

من كان سببا في التغافل عن طريق نجاتنا من دوامة الإفلاس؟! وبعد كل تلك السنين جاءت لتكتب لك الشركة متناسية دوري، و بعقل متحجر رفضت القضاء على هؤلاء القتلة. سحقا لهم لا يستحقون الحياة.

بصق ليل الدماء من فمه ثم قال بغضب:

_ ما كانت لتعطي أحد غيرك لقد وثقت بك لكن أنت من أعطى تلك الجرعة. أيها الجبان والحقت التهمة بها.

نظر هامان إلى عيون ليل بغضب حارق و وجه محتقن بالدماء بارز عروق الرقبة:

أجل انا من وفرت تلك الجرعة و وفرت للشركة ١٠ أضعاف السيولة، و ارتفعت تلك الغابة لتصل إلى كل العالم، وقريبا ستنتهي والدتك في تلك الزنزانة، وهذا هو إثبات ما أقوله.(مشيرا إلى الألماسة)

ابتسم ليل ابتسامة مليئة بالدماء قائلا:

_ أنت تحمل أحد اعمال آسر أخي من حاولت قلبه ضدي طيلة السنوات الماضية كالشيطان. انظر خلفك لقد انتهت المحاكاة قبل أن تبدأ والفضل يعود لآسر، ونسيت اخبارك بشيء انت على مرأى و مسمع الجميع ستشهد تلك الزنزانة سجين جديدا؛ الضباط سيقتحمون المكان في أي لحظة.

صرخ هامان محاولا الهرب ثم أخرج مسدسه مصوبا إياه في وجه ليل قائلا:

_ لا لقد بذلت قصار جهدي و دفعت نصف ثروتي لذلك المعتوه يامن ليخرب عليك خطتك ستنتهي مثلما انتهى صديقك يا ليل لن ارحل بمفردي. ذلك الاحمق يامن تسبب لي بمصيبة في الحي، سأقتلكم جميعا ولن ارحل بمفردي.

صُعق ليل صارخا :

_نديم !!

ثم تابع هامان:

قتله تلك الجرعة الشيطانية يامن ونال ما يستحقه ذلك الجشع الفاشل. أما انت فستنال ما تستحقه.

وقبل أن يصوب أمامه حتى امتلاء المكان بالضباط و قُبض على هامان. وسط محاولاته البائسة في إصابة ليل و صرخاته التي كادت تبلي أحبال صوته صارخا.

شكر ليل الضباط ثم انطلق بصدر يحترق على مقتل صديقه غدرا و على صدمته من صديقه الآخر لكنه انطلق يتجول بعقل فارغ يجمع شتات امره بصعوبة ليتابع المهمة الأصلية بإنقاذ والدته. لقد انقذها من الإعدام لكنه يتوجب عليه إخراجها من ذلك الجهاز اللعين.

****

رفيف

تجمعت هموم العالم بقلبي احمرت عيوني دماء و حسرة على فقدان نديم و حزن زوجته. أخبرت أهل الواحة بالخبر ليقوموا بإكرامه و دفنه. انهارت الواحة بمعرفة الخبر و سقط كبير الواحة يقلب كفيه على فقدانه بلسان شاكر و حامد لقضاء الله. علا البكاء بين نساء الواحة و أطفالها و رجالها، انفطرت قلوبنا جميعا. تقدمت شفق تحاول مواساتي و كنا جميعا نحاول مواساة خديجة و أمها لكنهما حُبسا في زنزانة خاصة يحرسها الحزن والقهر. احتضنت شفق نسمة تحاول التخفيف من صدمتها و في تلك الاثناء تمنيت وجود والدتي دون أي وقت مضى، فقد ضمت أحضان الأمهات بناتهن إلا انا. حمدت الله و اتجهت لقبلتي كما أفعل في كل مرة فلا يربط على قلبي سواه. بعدما أفرغت ما في قلبي دعوت بكل جوارحي عودة والدتي و علمت انتصار فريق ليل ليتك كنت معنا يا نديم حتى ترى ذلك لكن ليس كل الجنود يشهدون النصر. استدعاني ابي انا و شفق على عجل بقلب ممزق لنكمل مهمة مجهولة لم تعلمها إلا شفق عندما أخبرها ليل. ركبا السيارة اللعينة كم اكرهها سيارة السباق تلك لقد أخذت من ورود شبابانا ما أخذت! رأيت ملابس غريبة مع شفق قد أصلحتها بعض الآلات فرفضت اخباري عنها حتى نصل لوجهتنا. لكن علت الصدمة وجهي و اتسعت عيني في ذهول أحاول أستعاب الامر أهذه من يبحث قلبي عنها بين الجميع! مأمني من ذلك العالم الموحش و علاج احزاني أ هذه أمي؟! ركضت تجاها ادفع الأرض بقدمي بقوة ليتني أمتلك سرعة خارقة لا يهمني أي شيء اريد الارتواء بضمتها لي. أبعدت تلك السيدتين اللاتين اخرجاها من المحاكاة و احتفظ بها لنفسي فقط.

زمهرير

استندت بصعوبة على فتاة ذات عيون بندقية بعدما أخرجاني سيدتان من تلك الغرفة و عملوا على إفاقتي. راودتني مشاعري المضطربة هذه المرة بطريقة اعنف تلك العيون البندقية رأيتها من قبل لكنني لا اذكر المكان, و تلك الفتاة الصغيرة تشبه اختي الصغيرة بشدة الذي بدورها تشبهني! بعيون دامعة و

وجه محتقن بالدماء اوصلتني للسيارة. أردت معرفة اين ليل اريد القيام بمهمتي اريد الرحيل اريد وطني وعائلتي. لكنني لا اريدها ان ترحل بعيدا عن عيوني. فسألتها بلطف:

من أنت؟

اجابت بعيون دامعة:

رفيف.

_حاولت تهدئتها قائلة:

اسم جميل.. هل تعرفين اين ليل؟ ولما تبكين؟

استجمعت صوتها متفوهة:

سيرافقنا قريبا ينهي بعض الإجراءات و ترك لنا الوقت حتى ترتدي ثيابك ثم اضافت بعيون دامعة :

_ ابكي لأنني اشتقت إلى امي!

ربطت على يدها برفق متفوهة:

وانا كذلك.. ماذا جرى لوالدتك؟

_ سافرت إلى بقعة بعيدة...كانت تقول ان المسافات أسباب باطلة للجفاء والشعور بالألآم ربما يكون دواؤك على بعد خطوة منك ولكنك عاجز عن استخدامه.

قطعها اتصال من ليل بتوجيهي إلى الزنزانة.

أمسكت تلك الفتاة يدي تحاول أن تساندني مجددا حتى غمرتني مشاعر فياضة...احتضنتها كأنها قطعة من قلبي بكت بشدة بين اضلعي ووجد نفسي امسح على راسها بلطف متفوهة بتلقائية :

لا تقلقي الأمور ستكون بخير انا معك .

طال عناقها لي و احتويتها بكل جوارحي كأني أطفئ لهيب اشتياقي لها لا اعلم تفسيرا لذلك لكن في بعض الأحيان يكون الجهل افضل شعور. وصل لنا ليل لكنه اختلى بنفسه عدة دقائق حتى اتجهز للعود

ليل

أمسكت سماعتنا بحذر وتفقدتها كأنها إرث غالٍ. كانت آخر كلماته " يمكنني الشعور بالرضا عن نفسي الان و لتسامحني السيدة زمهرير على تقصيري السابق اظن أني اديت ما في وسعي الان فلتدعوا الله لي بالرحمة فإني ارجو رحمته و أخاف عذابه، ليل ابنتي خديجة أمانة بين يديك انت اب صالح يا ليل تحفظ تاريخ ميلاد اطفالك ثم ختمها بضحكته المميزة ولكنها مُزجت بالدماء هذه المرة."

اجتمعت بي عدة مصائب مؤلمة فسقطت بعض الدمعات المتمردة أحمل كرة من لهب بين حناياي فقدت اغلى صديق لي. نديم كان مثل اسمه نديم صادق وفي لقد قُتل غدر من شخص كنا نخاله صديقا. لا تخف يا صديقي فليتوفاك الله برحمته و امانتك محفوظة بأمره. لم تقصر في حق أمي ستعلم بتضحيتك سيعلم العالم اجمع أن

" عهود الصداقة لا يكسرها إلا الدماء".

احتضنت شفق رأسي قائلة:

عزيزي الانهيار لا يليق بك أمامك رحلة لم تنتهي بعد. إن نسمة وخديجة بخير فلتسرع بتنفيذ مهمتك قبل نهاية الوقت؛ فلم يتبقى الكثير، وليتولى اباك مهمة نديم يجيد استخدام الجهاز. تذكر والدتك و تذكر خديجة لا تجعل تضحية والدها تذهب سدىً.

صعدت سيارتي بعدما أخبرتني رفيف بانهما مستعدتين و تقلدت بوجه صلب محاولا العودة إلى طبيعتي لكن هيهات لما أتمنى. فما لبثت حتى احتقنت عيوني بالدموع و ازاد الم قلبي من فراق صديقي و دب الوهن في جسدي لقد ركضت اميالا معه دون ان يطرق جسدي الإرهاق لكنه اتضح اني اضعف بكثير من ذلك. اتصل بي أبي و أخبرني بجاهزية المكان وانه افضل وقت للقدوم الان فالجمع خرج لتجهيز هامان. ما كنت أخشاه هو ملاقاة والدتي هل سيصمد ذلك الوجه الصلب أمامها أم ينهار كما يفعل كل مرة.

الخاتمة

زمهرير

صعدنا تلك السيارة الغريبة و كان ليل وشفق في الامام و انا و رفيف بالخلف لم استطع ابعاد رفيف عن أحضاني طيلة الرحلة لم تكن طويلة و رأيت وجه ليل مليء بالوجوم فتألم له قلبي و زادت دهشتي عندما شاركته شفق الحزن. كانت تربط على يده تحاول مواساته على شيء أجهله تألم قلبي بشدة و عندما هممت بالحديث منعتني رفيف متحدثة بصوت خافت:

دعيه و شأنه لا تفكري بسؤاله.

استمعت لها و تعذب فؤادي طيلة الرحلة حتى ترجلنا جميعا أمام الزنزانة تقدم خطوة ثم قال:

_هنا مهمتك.

حاولت معرفة سبب الوجوم المحتل وجهه ولكنه اكتفى بقول:

_ تذكري وحسب انك ستنقذين العالم. سندخل إلى الزنزانة و ستحاوط عقلك خوذة تقذفه ببعض الموجات التي تكونها داخل عقلك تحاولين قراءة تلك الكلمة أو استقبالها لان ذلك الجهاز سيؤدي بالعالم إلى الهلاك أن استمر و إن تم تدميرها ستُهجر المدينة و سيهلك السجين.

تساءلت بخفوت :

_ولما أنا؟!

_لأنك الشخص الوحيد الذي يمكنه تلقى الكلمة كاملة.

سليم

يطالع الأجهزة و يعلق عيونه بنظرة حانية ودافئة يطالعها محدثا نفسه:

ليت الشباب يعود يوما و لا اترك لحظة تنقضي هباء.

ذكريات الماضي تحاوط قلبه فيغمض عيونه ليجعلها تتخلله و تلامس كل ذرة من كيانه. قلبه الضعيف بدأ بالخفق بسرعة و طوقتها عيونه فاحتلت وجهه بسمة حنين أبت المغادرة حينما لاح أمامه طيفها

مهدئة لقلبه من فراق نديم، لكنها تبخرت حينما رأى علامات الإرهاق تحتل وجهها و تلك الكدمة برأسها والألم الواضح بذراعها، فتقوس حاجبيه بغضب ممزوج بالحزن ودَّ لو ضمها لصدره حتى تهدئ او يهدئ ألم الفراق بداخله. حبيبها و رفيق دربها كما كانت تدعوه، رصيد الود بينما كان رأس مال تلك العلاقة و سبب نجاحها. ربما رقتها و قدرتها على احتوائه و احتواء أطفالهما ربما من سعة صدرها لغضبه او ربما لكونها تحاول الحفاظ على بيتهما او فقط لأنها حبيبته!

سمعها تحدث ليل بصوت متقطع بينما يساعدها بالمكوث تحت الشجرة :

_اين أنا في المستقبل؟

فأجاب سليم مشيرا لقلبه هامسا:

_هنا! اتَّخذتِ من قلبي عرشا لك يا زمهرير!

دخل ليل ليتأكد من جاهزية الأجهزة فطمئنه سليم و عندما هم بالخروج لجلبها منعه بأنه من سيجلبها فعلم ليل ما يخبئه والده تحت تلك النظرات الحانية فتفوه محاولا منعه:

إذا نجح الامر ستعود والدتنا لنا خلال دقائق.

ادرك ليل ان حواس والده قد أُسرت منذ أن رأتها عيونه لذا سمح له بإحضارها لكن بتوخي الحذر.

تحت قبة السماء المتناثر عليها حبات النجوم استندت تحت دوحة متشابكة الاغصان التقت انفاسي حتى لاح أمام شاخصي يسير بخطى سريعة حتى وقف امامي رجل بالستين بلحية مهندمة يطالعني بنظراته الحانية متفوها باسمي ببطء " زمهرير" ما لبث حتى احتضنت يداه كفي بدفء لم اعتده من قبل رمقته بعيون مندهشة لكن عيونه استمرت في أسر عيني فحيلت لدمية غير قادرة على الحراك، و توقفت حواسي عن العمل حتى يداي خارت قواهما فرفضا الانسحاب من بين تلك الطيات الدافئة فلملمت شتاتي و تفوهت بصعوبة :

_من أنت؟

لكنني تابعت تفوهي بحروف انتشلتها من ذاكرتي بصعوبة "سليم"!

هوى فؤاد سليم كورقة تسقط من أعالي الأشجار حينما تفوهت باسمه ربما اطفئت من شعلة اشتياقه لكنها اعادته للواقع، فتذكر انه كسر تلك العهود الذي عاهدها لليل بالداخل و لم يتمالك ذمام نفسه، فارتطم بأرض الواقع تاركا يدها و محاولا الحديث بصورة طبيعية مبتلعا لريقه بصعوبة:

أعتذر منك على مباغتتي لك بردة فعلي.

بعيون حائرة و جسد مازال يصارع تلك المشاعر الفياضة المنصبة عليه:

كيف عرفت أسمك؟ و من أنت؟

_ سليم.. زوجك.. أقصد والد ليل. أعذريني لقد ارتبكت من هول المفاجأة فلا أمتلك ذلك القدر من الثبات عند رؤية أحد من الماضي بالتحديد أنتِ.

تحطم قيد قدمي أخيرا و تحركت خطوتين للخلف لعلي اعود لرشدي لعلي! ثم تفوهت مشيرة لقلبي:

ولما ذلك الوخز يا سيد سليم. وكيف عرفت اسمك و ردة فعلك تلك؟

تفوها مفرقا شعره كليل:

تلك الوخزة من تداخل الزمان و استطيع وصفها لك بلغة تفهمينها" اعراض جانبية للسفر عبر الزمن" أما عني فجمعتنا مشاعر الود مدة طويلة و مع زيادة تواجدك هنا بدأ عقلك باسترجاع تلك الذكريات. ثم أنهى حديثه قائلا:

هيا فلتأتي معي سريعا قبل فوات الأوان لتعودي لواقعك.

ثم غادر تاركني لي ادور في زوبعة افكاري، فتبعته سريعا حتى اعود لعالمي وانهي ذلك الامر.

اضواء شاحبة تعكرها زرقة باهتة تضيئ على استحياء ظلام غرفة مرصعة بالأجهزة. تابوت بوضع أفقي يخترقه مجموعة من الأسلاك الشاشات من حوله تظهر الإشارات الحيوية لما بداخله معدل ضربات القلب منتظم و حالته توحي الاستقرار. رائحة الموت تنبعث من الغرفة. و صوت دقات الأجهزة يعلو صوت الصمت. أختفى الحراسة عندما علموا ببراءة السجينة و توجهوا لاستقبال هامان على الجانب الاخر.

سألته بينما اعتلى ليل جهازه و متغلبة على دهشتي بالمكان :

ما هذا المكان ؟

أجاب بنبرة شبيهة بنبرة ليل بينما يعبث بالجهاز :

_لا استطيع اخبارك.

ثم ناولني يده لأصعد على الجهاز الاخر لأرتدي الخوذة أكره ذلك العقار الذي يخدر جسدي و يزيد من صعوبة حركة أطرافي. تلاقت عيوننا عن قرب شعرت بحرارة أنفاسه تداعب وجهي و توقف الزمان لعدة لحظات وتلك الوخزة وصلت ذروتها، ذلك الشعور جديد كالأخرين لكنه مختلف، شعور بالأُنس لسماع صوته عبرت انفاسي المتلاحقة عن توتري من قربه لكن لأول مرة منذ قدومي إلى ذلك العالم اريد الاحتماء بأحد بدل من حمايته، وصلت دقات قلبي عنان السماء ادخل رأسي داخل الخوذة بحذر و مازالت عيونه تعلق بي. اشعر كأنه يسبح في عالمه غير مهتم بذلك الواقع كادت اناملة ان تلامس وجنتاي حتى أعاده ليل للواقع متفوها:

أبي هل انتهيت!

ازدرد ريقه متفوها:

أجل جلسة الموجات جاهزة.

ارتعبت عند سماع تلك الكلمة لقد هدد صاحب المطرقة ليل بها من قبل فتفوهت بذعر:

_لا أريد تلك الجلسة لا أريد التعرض للمزيد من الألم!

مازال محتفظا بنظرته التي تهز فؤادي متفوها:

_ العقار الذي تدفقه تلك اللاصقات إلى دمك لن يشعرك بالألم.

_ ذلك الجهاز من اغرب الأجهزة التي رأيتها في عالمك انا سأغادر بعد قليل على الأقل أعلم مصدر طاقته حتى تهدأ النيران بداخلي سمعت الكثير يتحدثون عنه.

يمكنني اخبارك فستتبخر تلك المعلومات بمجرد مرورك و لأهدئ من روعك حتى يعمل الجهاز:

_ قديما تم اكتشاف مقبرة فرعونية ضخمة وجدوا حجرا باللون الأزرق يجذب الأنظار كالأحجار السحرية . كان يستخدم كبار الكهنة هذا النوع من الأحجار للسيطرة على تلاميذه. تشغل عقلك بفكرة ما

اي فكرة الطقوس التي كانوا يقومون بها ثم يأخذون عينة أو جزء من الخلية العصبية من الدماغ _لا ندري كيف فعلوها ولكنهم فعلوها _ ثم يُفتح الحجر إلى جزئيين و توضع بداخله و اينما تواجد الحجر فإنه يبث تلك الفكرة بداخله و بطريقة لا واعية يستجيب لها من حوله. ومنذ اكتشاف الأمر واستغل علماء عصرنا استخدمنا في أمور عدة. تم تسليطه في جلسة من الجلسات كالعادة و لكن الطاقم غير برمجته و تسليط موجاته فخرج الامر عن السيطرة و تدفقت أفكار المتلقي للموجات للخارج حتى شملت المدينة، و عبثت بعقول الكثيرين حتى وصلت من قوة الموجات إلى ان تعبث بلغتهم التي يتحدث بها لسانهم، و حركة أطرافهم فشلت في بعض الأحيان ابرياء في ربيع عمرهم لذا نحاول انهاء الامر، هل هدأ فضولك الآن؟

اتسعت عيوني وسألته:

_هل سأنسى كل تلك الأحداث؟

حرك كتفه متفوها:

_ لا ندري. لكن ما تراه عيونك وتسمعينه و كل شيء يُسجل سواء في اللاوعي أو الاهم في صحيفتنا المهم كيف تصرفنا حينها.

_ سيدي من بداخل ذلك التابوت ؟

_شخص حاول اصلاح العالم متناسيا نفسه فخسر نفسه والعالم. ألم اخبرك انه يسيطر على العقول لذلك حاولت تلك المسكينة إزالة ذكرى أو معلومة معينة بين الناس لعودة الحياة لطبيعتها و لكن الأمر تطور وحُبست خمس سنوات تبث و تسيطر بأفكارها على المدينة. منها النافع و منها المُهلك. سيطرة كبرى على العقول.

أومت برأسي باستيعاب:

_لذلك لم أكن أستطيع الحديث بالعامية في المحيط القريب منها.

_ هذا من ضمن الأخطاء تصرف الجهاز بدون نظام فثبت اللغة العربية على جميع الواقعين في المحيط القريب منه. و تلاشت اي لهجة من حوله . لكنه احيانا يبث لغات اخرى فيعجز غير الناطقين بتلك

اللغة عن النطق لمدة حتى تتغير حالته؛ لذا نحتاج تلك الكلمة. ليهدأ ضجيج العالم ثم أخفض من نبرة صوته قائلا:

و يعود الفؤاد ليسكن محله!

سألته مجددا :

_لكن لما لم تتلفوا الجهاز؟

أجاب بنبرة يعلوها الأسى بينما ينهي ما يمليه ليل عليه من تعليمات:

_ ستصدر مجموعة من الأشعة كفيلة بتدمير الجهاز و ما بداخله، فتلك الأجهزة ذات أسعار ضخمة لذا كانوا سيضحون بمن ضمته الاجهزة حينما ينتهوا من استخدام أخر ذرة بها ولا يتلفونه.

_هل للحجر علاقة بزهرة الاقحوان؟

_تلك المقبرة كانت مليئة ببذور تلك الوردة تقديسا للونها الذي اختلسه الحجر فأتخذها الناس علامة خير و اهتموا بها حتى يتذكروا ذلك الحجر ودوره ثم انه يزيد من سرعة نموها أكثر من أي زهرة أخرى.

ثم أخذ شهيقا و سألني بحذر: هل أنت جاهزة؟

أومت برأسي فبدأ الجهاز بالعمل و بدأ جسدي بالتشنج صور متداخلة تمر برأسي، و ذكريات كثيرة هنا ابكي وهنا اضحك، و ذكريات معدومة الملامح متداخلة لا أفسر منها شيء حتى اتضحت كلمة واحدة مضيئة "حياتي' 'شبابي" لا أفقه شيء. أنه تتابع من لقطات لا اعرفها، و أكملت الموجات عبثها بعقلي حتى شارفت رأسي على الانفجار و عزلتني عن هذا العالم أطفو في عالم من الأضواء واحلق افتقد الشعور بوزني و جسدي كأني فراشة تحلق في أعلى قمم السرور، أخير تكاملت تلك الصور لتعطي مشهدا صغيرا مشوشا: ليل يداعب آسر و يسرق قطعة الحلوة منه و يستغل طول جسده ليمنعه من الوصول إليها بدا اكثر سعادة و ابتهاجا، و رفيف تجلب بعض اكواب العصير بينهما شفق مجهدة من علامات الحمل يبدو انها شارفت على الولادة، و سليم يعلو وجهه سرور مهللا لقد ظهر الهلال غدا اول أيام رمضان طوقت السعادة تلك الجلسة و بدو بملامح اصغر وأقل حزنا و أكثر ترابطا وأنا انظر من بعيد بعيون سعيدة لكن مهلا أين انا ؟!

كأني اطالعهم من عيون شخص أخر حاولت معرفة ذلك الشخص الغريب حاولت رفع كفاي لكن لم استطع حتى تقدم تجاهي سليم متفوها بتلك العيون المليئة بالحب يمد يده ليمسك بيدي لكن حينما حاولت الإمساك بيده حتى تلاشت الصورة من أمامي و عدت لعالم الأضواء كورقة شجرة تذروها الرياح في الفضاء السحيق المظلم حتى عدت للواقع و انا اتصد عرقا.

فتخت عيوني بصعوبة و صفير الأجهزة يعلو في كل مكان و صرخات رفيف تعلوه متفوهة:

عليكم التوقف سنفقدها!

تفوت بصعوبة فتحلقوا حولي يترقبون ما يخرج من الجهاز و ما تحرره شفتاي حتى تفوه ليل بيأس بينما يصفع الشاشات بقوة :

لا شيء مازالت الإشارات ناقصة ماذا افعل لقد عدت بالماضي لتحريرها.

نظر سليم لي برفق قائلا:

ماذا رأيتِ اخبرينا بكل شيء اقل كلمة كفيلة بإنهاء ذلك الجحيم

اجاهد الشعور بالدوار و تتبعثر الحروف من فمي:

_ انت و ليل وآسر وتلك الجميلة رفيف و شفق. كان في اول ليالي رمضان و كنت اطالعكم بعيوني بينما لا املك السيطرة على جسدي و كانت تتردد صوت ضحكاتكم فتطرب سمعي.

قال آسر بتأثر:

هؤلاء نحن!! نحن شبابها و حياتها يجب أن نتحد معا حتى يُفتح التابوت وتعود لنا مجددا. يجب أن نسلط الموجات علينا و مشاعر الود تطوقنا اخفت غمامة مشاحناتنا قوة الجهاز و تناسينا طريقة عمله، تريدنا أن نعود كالسابق اخوة و عائلة متماسكة لا يتخللنا شقوق القسوة و الغضب. حسنا يكفي ما تعرضت له إلى الآن، لقد قمت بمهمتك و عدنا متحدين. فلتعودي للماضي بينما نحن سنتكلف بالباقي ثم أشاح بنظره لليل مكملا:

فلتثق بي أنا اعرف الحل تلك الموجات ستكتمل حينما نرتدي الخوذات جميعا و يضمنا شعور واحد و هو المودة والاخوة.. أعتذر لك عن تهوري ولكِ يا رفيف عن تغافلي عن دوري كأخ اكبر لك لكن فلترجعها قبل فوات الأوان. ارجوك لا يمكنني فقدانها بعدما لاح امامي امل عودتها لنا.

قلب ليل نظره بيننا ثم اطال النظر لوجه آسر قائلا:

_هل يمكنني الوثوق بك؟ ليس لدينا وقت

بعيون يتحجر بها الدموع هز آسر رأسه لأعلى واسفل.

لم افهم اي حرف مما قاله لكنني أخبرتهم أنني اريد العودة وحسب. بدأت اشعر بإعياء شديد و أصفر وجهي فقاموا بتوصيلي تجاه السيارة مجددا و تناولت العقار بنفسي هذه المرة احتضنت تلك الفتاة رفيف قبل رحيلي و قبل ان أفقد اخر ذرة قوة لدي شغلوا السيارة ثم اتجهوا للجهاز، و ارتدوا جميعا الخوذات لكن رفيف أكدت على ان ثقتهم ببعضهم البعض هي أساس نجاح تلك المهمة فتبادلوا الابتسامات و سلطوا تلك الموجات على ادمغتهم فعلى صوت الأجهزة وانطلقت الأضواء تبث في المكان بهجة و صدرت أصوات فتح ذلك التابوت لأول مرة و علت علامة البشر على وجوههم جميعا. لقد تم الامر و تضادت تلك الموجات المجمعة لتلك الموجات المتفرقة و تداخلت حتى فُتح الجهاز. و عادت زمهرير مجدا للماضي و الحاضر.

****

بدأت الرحلة المهلكة تشعر بنزع روحك من جسدك كأنك تحلق في أعالي الفضاء الهواء ينقص من صدرك الرؤية تنعدم و تفقد السيطرة على عقلك فلا تشعر بماهية الأمور حقيقة كانت ام مجرد خيالات تدوي بذهنك .يزدهر سمعك فتسمع حركة امعائك، ثم في لحظة تنطفئ كل حواسك. ظلام يعج بظلام ، وتتمنى حدوث أي شيء يمزق صفحة الظلام لكن لا شيء ، واحبال صوتك لا تجدي نفعا حين تصرخ بقوة، وتدار الدائرة مجددا وتزدهر حواسك حتى تصطدم بالأرض كمن يقفز من طائرة دون مظلات. يرحمك ذلك العقار الذي يعيد توازنك فتعود لحالتك الطبيعية مع لمسة من ذلك الألم برأسك.

ملقاة في الشارع في نفس الشارع الضيق بجسد متهالك و وجه مصفر و نبض يتخافت لم أشعر إلا بيد ذلك الصغير تحاول إيقاظي ثم صوت سيارة الإسعاف.

استيقظت في المشفى لا اذكر سوى تلك الحلوى التي قمت بفتحها و حسب اخبرني الطبيب أنني تعرضت لهبوط فسقت على ذراعي فتورم بشدة.. و هذا ايضا يفسر تورم رأسي أشعر كأني كنت بغيبوبة وليس هبوط في الدورة الدموية. هواجس غير متناسقة تعبث بعقلي. وعندما رأيت والدتي احتضنتها بشدة احتميت بها من شيء اجهله وكعادة امي كانت أفضل أنواع الدواء لي. وبختني لعدم

اهتمامي بصحتي. فعدت للمنزل كأني غادرت لسنين و ليس لنصف يوم ثم اطفئت أضواء غرفتي احتضنت كل جزء منها كأني كنت بعيدة عن ذلك العالم. أصوات مشوشة تعبث بعقلي لكني أظنها من ضغط العمل و صدمة رأسي. شكرت ذلك الطفل الصغير الذي استدعى الإسعاف يدعى "هامان" خلته في السادسة من عمره لنحافته ولكنه كان قد تخطى العاشرة. جاء ليطمئن اني بخير. مكثت في منزلي عدة أيام بعدما أصرت والدتي أنها ستهتم بنفسها بأدويتي و طعامي، و أحببت الجلوس مع اخوتي لمدة فشعرت باشتياق شديد لهم و لم اهتم بسخريتهم من مشاعري الفياضة الغريبة تلك.

زارتني شمس و والدتها لاطمئنان على صحتي بعدما أخبر هامان الحي اني تعرضت لحادث.. أراد تقديم دعما نفسيا لي أخبرني أنه قرأ في إحدى الكتب أن ذلك الأمر فعال بشدة. ربما زاد اهتمامه بالصيدلية أو زاد اهتمامي به حينما رأيته نابغة محبة للعلم يشاطرني شغفي الكتب، او ربما لأنه كان يتيما و رأيت اهتمامي به كتعويض عن فقده لوالديه. يحمل بداخله حب كبير للمعرفة او للتميز لكن الجميع يشهد بطيبة قلبه و رجاحة عقله رغم صغر سنه، و رحب به والدي بشدة كطفل بيننا لقد جمعه رباط محبة بين ابويه أخبرني ان صنائع المعروف لا تذهب سدى. ربما قطعة خبز أطعمتها او لحظة اهتمام اعطيتها لأحد تجعله يضحي بحياته من اجلك في يوم من الأيام.

تغير جزء من شخصيتي أجهل سبب تغيره بت أكثر صبرا و اكثر محاولة، ولم اترك شيء فشلت به مرة واحدة، و قمت بإنهاء رواية من روايات. اجهل حقيقة كرهي لشخصية نمير او رهبتي كلما تخيلته لكن لا بأس فخيالي يسيطر عليَّ أحيانا لقد زاد الامر اني حلمت بمواجهة بيني و بين نمير يبدو انه سيتحقق ما تحذرني به امي و افقد عقلي جراء تلك الروايات.

بعد مدة صغيرة التحقت بحياة الكبار و تقدم لخطبتي سليم اخو شمس كان من الطاقم المصري للآثار، و الجميع يراه مجنونا بمكوثه تلك الفترة بين طيات القرية المسكونة لكنني كنت اراه عاقلا في قرية ندر بها العقل، و مرت فترة الخطبة بسلام لا توجد به عيوب تغضب الله و ما دون ذلك مقبول. كنا على قدر عالي من التفاهم و بيننا قواسم متشابهة في نقاط عدة و حاولنا تقليل قائمة الاختلاف. لا انكر تلك الوخزة التي اصابتني عندما التقيته اول مرة و لكن ربما هي علامات القبول. التحقت بشركة ليست على مستوى عالٍ كما كنت احلم لكن رب الخير لا يأت إلا بالخير. و سيطرت على عقلي فكرة تأسيس شركة خاصة بي رشح تلك الفكرة لي هامان متمنيا أن نعمل معا في يوم من الأيام. تم الزواج و اشترينا أساس مكتبتنا كم اتمنى أن نملئها بالكتب و أقوم بترتيبها. كان زوجي حنون كأنه استجابة

لدعواتي المتناثرة في الليل و صارت دعواتي ان أصبح زوجة يحبها أطفالها وزوجها. احمل بين احشائي أول اطفالي اتمنى أن يكون حنونا علمت أنه ولد فتمت الحيرة في اختيار الأسماء اختار سليم جاسر و انا آسر لكن والدي اسماه ليل .

تمت بحمد الله

إذا وصلت لهذه الصفحة فشكرا لك على وقتك وأرجوا أن تكون المتعة والبسمة زارت وجهك وروحك بعض الوقت كما أتمنى استفادتك ولو بالقليل و أن أكون كطير مر في سماء حياتك

سعدت برؤيته ☺

هنا!

انتظر رأيكَ /كِ و تعليقاتك/كِ على الأجزاء المفضلة لديكَ/كِ

فإن وفقت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان.

https://aqhwan.sarhne.com

رموز الأحرف

 = حرف الألف = حرف الباء

 = حرف التاء = حرف الجيم

 = حرف الحاء = حرف الخاء

 = حرف الدال = حرف الذال

 = حرف الراء = حرف الزين

 = حرف الصاد = حرف الضاد

 = حرف الطاء = حرف الظاء

 = حرف العين = حرف الغين

 = حرف الفاء = حرف القاف

 = حرف الكاف = حرف اللام

 = حرف الميم = حرف النون

 = حرف الهاء = حرف الواو

أقحوانة
رواية
هبة الله أحمد غلوش